﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

الإصلاح

لا يُصلِحُ آخِرَ هذِهِ الأُمَّة إلاّ ما أَصْلَحَ أوّلَها

مجلة جامعة تصدر عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع

السنة الثامنة. العدد الواحد والأربعون: رمضان/شوال 1435هـ الموافق لـ جويلية/أوت 2014م

الأمة الإسلامية بين مواسم الجد والهزل



حكم نقض الوتر في رمضان وغيره

د.صالح رمضة

مجلسان في فضائل شهر شعبان ورمضان للحافظ الجوهري (454هـ)

عمار تمالت



من أحكام المصحف الإلكتروني

أ.د.محمد علي فركوس



كرامات الأولياء بين الغلو والجفاء

أ.د.عبد الرزاق البدر

السعر: 200دج رقم الإيداع القانوني: 3623. 2006 ISSN: 1112.6825

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونَسْتَعِينُه ونَسْتَغْفِرُه، ونعوذُ بالله مِنْ شرورِ أنْفُسِنا ومِنْ سَيِّئاتِ أعْمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له.

وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [سورة آل عمران].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [سورة النساء].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [سورة الأحزاب].

أمَّا بَعْدُ:

فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

■■■





مجلة جامعة تصدر عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع



عنوان المجلة:

دار الفضيلة للنشر والتوزيع
حي باحة (03)، رقم (28) الليدو
المحمدية ـ الجزائر

الهاتف والفاكس: (021) 51 94 63
(النقال): (0559) 06 99 92
التوزيع (جوال): (0661) 62 53 08

البريد الإلكتروني:

darelfadhila@hotmail.com

الموقع على الشبكة العنكبوتية:

www.rayatalislah.com



مدير المجلة

قيمةُ كلِّ امرئ ما يطلُب

إنَّ من أطايب الكلام المستفاد من شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله قوله: «والعامَّة تقول: قيمَةُ كُلِّ امرئ ما يُحسنُه؛ والعَارفُون يقُولون: قيمَةُ كلِّ امرئٍ ما يطلُب» أي أنَّ قيمةَ الإنسان همَّتُه ومطلَبُه.

فمَن كان طالبًا معالي الأمور عظُمَ قدرُه وعلا شأنُه؛ ومَن كانَ طالبًا سفَاسفَ الأمور وخسيسها نزلَت مرتبتُه وتضعضَع أمرُه؛ والمحمودُ منَ النَّاس مَن كانَ عاليَ الهمَّة، شامخَ النَّفس، لا يرضى بالأماني عن الحقَائق، وهو ذاكَ الرَّجل الَّذي غلَّب على نفسِه داعي العَقل والرُّشد ولم يستَسلم لدَاعي الحسِّ والطَّبع؛ فلا تغلبه شهوةٌ ولا تجرفه شبهةٌ، ولا يصرفه عن طلب رضا الله تعالى صارف، ولا يُثني عزمَه عن طلب الجنَّة عائق، جعل همَّه اللهَ عزَّ وجلَّ والدَّارَ الآخرة، ولم يعُد لروحه أمنيَّةٌ تتطلَّع إليها غير هذه الغاية النَّبيلة، وهذه همَّة رسول الله ﷺ الَّذي أبَت عليه إلَّا أن يختار أن يكونَ عبدًا رسولًا على أن يكون ملكًا نبيًّا؛ ومن هذا الطِّراز أيضًا كان الصَّحابة رضي الله عنهم، ومنهم ربيعَةُ بنُ كَعْب الأَسْلَمِيُّ رضي الله عنه لَمَّا قال له النَّبيُّ ﷺ: سَلْني، فقال: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّة؛ قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؛ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ؛ قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» [«صحيح مسلم» (489)]، فلم يسأل شيئًا من حُطام الدُّنيا الزَّائل.

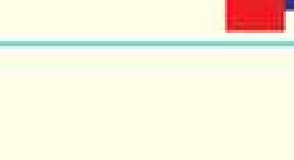
وأمَّا أصحاب الهمم السَّاقطة، فلا همَّ لأحدهم سوى تحقيق شهوة آنيَّة أو لذَّة فانية؛ كطلب رياسَة، أو عِشق صورة، أو تحصيل مال وبضاعة، ولا تجول خواطره إلَّا في أودية الخيالات الباطلة الخادعة، والأماني السُّفليَّة الكاذبة، فانظر واعجب لهذا التَّفاوت؛ قال ابن القيِّم رحمه الله: «ولله الهمَم! ما أعجبَ شأنَها، وأشدَّ تفاوتَها؛ فهمَّةٌ متَعلِّقةٌ بمَن فوقَ العَرش؛ وهمَّةٌ حائمَةٌ حولَ الأنتَان والحُش».

وإنِّي أهيب بكلِّ عاقل وبخاصَّة مَن كان منتَسبًا إلى العلم أن يسمُوَ بهمَّته، ويحلِّقَ بها عاليًا، فلا يطلب ولا يقصد بأقواله وأفعاله غير الخالق سُبحانه؛ وأن يبذُل جُهدَه في الدَّعوة والنُّصح بكلِّ وسيلة مشروعة لإيصَال الخلق إليه سُبحانه وتعليقهم به جلَّ وعلا؛ فهذه الهمَّة النَّفيسَة هي همَّةُ صفوةِ النَّاس وخيرتهم أنبياء الله ورُسُله عليهم الصَّلاة والسَّلام وأتباعهم وورَثتهم.

وإنَّه بمثل هذه الهمَم العَليَّة تتحقَّق المكاسب الدَّعوية المرجوَّة، ويكونُ لدعوتنا الأثر البالغ في النُّفوس؛ لأنَّنا ندعو إلى التَّمسُّك بالوحي المنزَّل؛ وهذا الوحيُ ـ كما قال الشَّيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله ـ: «لا يؤتي آثاره في إصلاح النُّفوس إلاَّ إذا تولَّته بالفَهم عقولٌ كعُقول السَّلف، وتولَّته بالتَّطبيق العَملي نفوسٌ ساميةٌ، وهِممٌ بعيدةٌ، كنفُوسهم وهِمَمهم».



العدد الواحد والأربعون ـ السنة الثامنة:
رمضان ـ شوال 1435 / جويلية ـ أوت 2014



الأمة الإسلامية بين مواسم الجد والهزل



4

بحوث ودراسات

حكم نقض الوتر في رمضان وغيره



22

غلاف العدد السابق





أخبار التراث





مجلسان في فضائل شهر شعبان ورمضان للحافظ الجوهري



ألفاظ ومفاهيم



كرامات الأولياء بين الغلو والجفاء

قواعد النشر في المجلة

- أن تكون الموضوعات مطابقة لخطة المجلة، وموافقة لمنهجها.
- أن يكون المقال متسمًا بالأصالة والاعتدال.
- أن يحرَّر المقال بأسلوب يحقق الغرض، ولغة بعيدة عن التكلف والتعقيد.
- الدقة في التوثيق والتخريج مع الاختصار.
- أن تكون الكتابة على الكمبيوتر، أو بخطٍّ واضح مقروء؛ وعلى وجه واحد من الورقة.
- ألا يزيد المقال على خمس صفحات.
- أن يذكر صاحب المقال اسمه الكامل وعنوانه ورقم هاتفه، ودرجته العلمية إن وجدت.
- المقالات أو البحوث التي لا تنشر لا تردُّ لأصحابها.

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير:

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

حي باحة (03)، رقم (28) الليدو- المحمدية.

الجزائر

الفاكس: 63 94 51 (021)

البريد الإلكتروني:

darelfadhila@hotmail.com

سعر النسخة: (200 دج)

الاشتراك السنوي للأفراد: (1200 دج)

الاشتراك السنوي للمؤسسات: (1500 دج)

التحرير



الأمة الإسلامية
بين مواسم الجد والهزل

إنَّ النَّاظرَ في أحوال الأمم، المُستقرئَ لتاريخها، لا يجد أمَّةً نالت من الفضائل والقيَم وحازت على المكارم والشِّيَم، وأُسبغَتْ عليها المِنَنُ والنِّعَمُ مثلَ أمَّة الاسلام - زادها الله شرفًا وذكرًا - لِمَا حباها الله به من النِّعمة العظيمة والمنَّة الجسيمة، المُتمثِّلة في هذا الدِّين العظيم الَّذي فضلَّها الله به على سائر الأُمم، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : 110]، وقال أيضًا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة : 143].

فمنه تَنبُعُ خيريَّتُها، وبه تتأكَّدُ وسطيَّتُها، وعليه يُبنَى مَجدُها، وإليه يَرجِعُ مصيرُها، فحريٌّ بأمَّة أُكرمَتْ بهذا الدِّين وخُصَّتْ بهذه المنقبة أن تَحفظَ مكانتَها، وتَسمُوَ بقدرها، وتَذكُرَ فضلَ ربِّها عليها، وتُديمَ شكرَ نِعَمه الظَّاهرة والباطنة الَّتي ألبسها إيَّاها؛ منَّةً منه سبحانه وتفضلاً.

ولكلِّ أمَّة في تقلُّب الأيَّام ودَوَرَان الأفلاك فُرَصٌ للتَّأمُّل، ووَقَفاتٌ للنَّظر، وأوقاتٌ للمحاسبة تحتاجها لتَنظُرَ في أحوالها وتتحسَّس مواقعَها، وتُراجعَ مواقفَها، وتُصحِّحَ مسارَها؛ سعيٌ في إصلاح ما فسد من أوضاعها، وتجديدٌ لما ضَعُفَ من مُقوِّمَاتها، ومُعالجةٌ لما اختلَّ من شؤونها وموازينها، وأمَّةُ الإسلام لها من كلِّ ذلك قَصَبُ السَّبق وزِمامُ الفضل، مِنْ شَرَف الاستحواذ على المكارم، والاستيلاء على المحاسن، والأخذ بمُهمَّات الأمور، والرَّكض في ميدان العلم والعمل، فأمَّةٌ بهذه النُّعوت لا يمكنُ أن تتخلَّف عن السُّؤدَد، أو ينالها ضَيمٌ، أو يجرفها سيلُ الجهالات والحماقات، فتعيش على تقاليد الأمم وفَضَلاَتها، لا تتميَّزُ بعقيدة، ولا تعتدُّ بشخصيَّة، ولا تُفاخرُ بدَين أو مبدإ.

وحين تُبتلى الأمَّةُ بتسلُّط الأعداء عليها وتُصَابُ بالخذلان في مَواقفها، وينتابها الشَّكُّ في مُقدَّسَاتها تفقد الكثيرَ من مُقوِّمَاتها، وتُنزَعُ المهابةُ من قلوب أعدائها، فلا تعد لتكترث بمناسباتها وتتهيَّأ لمواسمها وتفرح بفضل الله عليها، بل تنساق وراءَ كلِّ سَرَاب، وتنخدع أمامَ كلِّ أفَّاك، وتُلدَغُ من نَفْس الجُحْر مرَّات.

ومنْ نِعَم الله على هذه الأمَّة المرحومة وأفضاله عليها أنْ هيَّأ لها من المواسم وأحدَثَ لها من المُنَاسَبَات ما تَستَعيدُ به عافيَتَها، وتُداوي فيها كلومَ أرْوَاحها، وتُزيلُ عنها آثارَ الغفلة والخمول، وتُجدِّدُ روافد الخير في قلوبها، وتُنمي أحاسيس البرِّ في نفوسها، كما منحها من العبادات ما تزدان به شرفًا وذكرًا، وتزدادُ به مثوبةً وأجرًا؛ ومن ذلك موسمٌ يتكرَّرُ كلَّ عام، وشهرٌ متتابعُ الأيَّام، وفرضٌ من فرائض الإسلام، يأتي في موعده المعلوم وأَجَله المضروب، هو غُرَّةُ الزَّمان ومَتْجَرُ أهل الايمان، يتلاقى فيه المسلمون على سمت في المعيشة مُتناسق، ونَمَط مُتوافق من تغيُّر العوائد، تتدفَّق أيَّامه ولياليه بنبع الهدى ومرابع الخير في البيوت والمساجد، تتجدَّد فيه صِلَةُ المؤمنين بربِّهم، وتتوثَّقُ فيه عُرَى المَحبَّة بينهم.

وقد سار أهلُ الإسلام منذُ عصرِه الأزهَر على تعظيم شهر الصَّوم والتَّهيُّؤ له بفارغ الصَّبر، وقام سوقُ علمائهم وخُطبائهم بعرض مَتاجِره الرَّابحة، وسلَعِه الرَّائجة، كُلَّما حلَّ بساحتهم، يُشيدون بفضائله، ويُذكِّرون بحكمه وأحكامه، ويعدُّون مآثرَ أمجادِه من الصَّائمينَ والقَائمينَ والمُنفقين والمجاهدين وحَسُنَ أولئك رفيقًا.

حديثٌ يتكرَّرُ، لا تَملُّه الأسماعُ ولا يَخْلَقُ عن كثرة التَّرديد، ومواسمُ لا تتبدَّل لكن يسري فيها روح التَّجديد، وتُثَارُ فيها ألوانٌ من المحاسبة، وتُفتَحُ فيها ميادينُ للمنافسة، وَتكثُرُ دواعي الخير وأسبابُ المثوبة في ذلك الموعد السَّنوي الفريد، وقد ظلَّتْ أُمَّتُنا على تلك السِّيرة المَرضيَّة والمظاهر البَهيَّة أزمنةً مديدةً، ولأحقاب طويلةً تنْعَمُ بلذَّة العبادة، وترفل في أثواب السَّعادة إلى أن صاحَ فيها نذيرُ الشُّؤم وأقبل عليها باغي الشَّرِّ ليجْعَلَ من مواسم الخيرات والبركات، وزمن النَّفَحَات وتنَزُّل الرَّحَمَات مواسمَ للمجون ومَسْرَحًا للغفلات، يصولُ فيها أهلُ الشَّهوات والملذَّات، يقطعونه بعبث ولهو، وترفيه غير بريء، وتسلية غير عفَّة، تعكِّر صفوَ المُتعبِّدين، وتقطعُ الطَّريقَ على التَّوابين وتُغرقُ سوقَ البطَّالين ببضائع ممنوعة وسلع فاسدة، استهلاكها هو عين الهلاك ومَوردُ التَّهلُكة، ولأعدائنا في صَرف الأُمَّة عن مواطن الحزم وأوقات الجدِّ واقتيادها إلى مسارح الهزل ومراتع الهمل أساليبُ ماكرةٌ، وطرائقُ غادرة تُنبئُ عن مدى الحقد المُروِّع والبُغض الدَّفين الَّذي يُضمِرُونَه في قلوبهم، وتبين عنه ألسنَتُهم: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: 118].

ولا أدَلَّ على ذلك من استدرَاجهم للشَّباب المُسلم لتتعلَّقَ قلوبُهم بسوالب لعبة ما كان لها أن تَظهَرَ في أُمَّة الإسلام بهذا الشَّكل الرَّهيب، فضلًا على أن تَنتَشرَ وتَعلُوَ على مساحة كبيرة منْ نَفقَاتها وطَاقاتها وأوْقَاتها، وتتحَوَّلَ إلى صَنَم يَسكُنُ القلْبَ مع أنَّها لا تعدو عن كُرَة تركلُها الأرجُلُ، لا تزيد عن بضع سنتمترات في القطر والمحيط غير أنَّه قد زاد حجمُها في حياة أكثر أبناء المسلمين عن حجم الأرض، وصرفت اهتمامات الأمَّة الأوَّليَّة إلى تفاهات، ودفعَت بها إلى متاهات، أقلُّ ما تُوصَفُ به أنَّها تُمثِّلُ مظهرًا من مظاهر الذِّلَّة والهوان وتدعو إلى مسالكَ ماسخة لما بقي من هويَّة الانتماء إلى الإسلام والاعتداد بعزَّة أهل الإيمان، ممَّا يجعلُ العاقلَ يُدركُ بعين الحكمة أنَّ أهدافَ الأعداء قد أصابت مَرماهَا وبلَغَتْ مداها في صدِّ المسلمين عن سبيل الله وصَرفِهم عن دينهم وإلهائهم عن مصيرهم؛ كما أوحى إليه البروتوكول الثَّالث عشر من «بروتوكولات حكماء صهيون» الَّذي جاء فيه: «ولكَيْ تبقى الجماهيرُ في ضلال، لا تدري ما وراءَها وما أمامها ولا ما يُرادُ منها، فإنَّنا سنعمل على زيادة صرف أذهانها بإنشاء وسائل المباهج والمُسلِّيَات والألعاب الفكهة، وضروب أشكال الرِّياضة واللَّهو، وما به الغذاء لملَذَّاتها وشهواتها... ثمَّ نجعلُ الصُّحُفَ تدعو إلى مباريات فنِّيَّة ورياضيَّة»، وهو ما تمَّ الوصولُ إليه والتَّخطيطُ له، فأنشأوا ما سمَّوه بـ «ألعاب الأولمبياد»، ومباريات «كأس العالم» في كرة القدم، الَّتي تُشَدُّ إليها أنظارُ العالَمين بل قلوبُهم إلاَّ قليلًا منهم، تسرقُ منهم أوقاتَهم، وتُبذِّرُ أموالَهم وتعطِّلُ أشغالَهم كما هو الحال في أيَّامنا هذه، وقد تزامن إجراءُ هذه المقابلات مع حلول شهر رمضان، الَّذي هو فرصةٌ ذهبيَّةٌ وفُسحَةٌ زمنيَّةٌ لمعالجَة النَّفس وصيانَتها لتكسب إرادةً صارمةً وعزيمةً جادَّةً، تمنع بها التَّهافتَ على الشَّهوات، والارتماء في أحضان الملذَّات، وتملك الصَّبرَ والتَّصبُّر في مواجهة طيش الغرائز وبواعث الهوى ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ٢٧﴾ [سورة النساء].

إنَّ الكُفَّارَ قد لا يُلامون حينَ يَجدُّونَ في نشر الباطل وغزو العقول وطَمس المفاهيم، ولكنَّ اللَّومَ كلَّ اللَّوم حين تُجنَّدُ جماهيرُ وتُنفَقُ أموالٌ ويَنطلقُ إعلامٌ من ديار أهل الإسلام يُحاكي إعلامَهم وربَّما يَفوقُه، ليس له همٌّ إلاَّ التَّرديد لهذا الصَّدى المُنحرف والتَّشجيع عليه وإعطاءَه الأولويَّةَ في الإشهار والدِّعاية والتَّغطية، يُنسيهم في انتمائهم ويُلهيهم عن رسالتهم، ويُفوِّتُ عليهم فُرَصَ استغلال الأعمار وعمارة الأوقات فيما يعود عليهم بالنَّفع والخير، لا سيَّما إذا كانوا في زمن هو أفضَلُ الأزمان، وشهر هو شهرُ الصِّيام والقرآن، وموسم هو موسم التَّوبة والغفران.

إنَّ حقًّا على المسلمين وهم يَشعُرُونَ بضراوَة العَدُوِّ وشراسة الكائدين وصُعوبَة المرحلَة أنْ يَبْكُوا ولا يَضحَكُوا، وأن يَجدُّوا ولا يَهزَلُوا، وأن يختاروا لأنفسهم معاليَ الأمور وأشرافها، ويربؤوا عن سفاسفها وأدناسها، وأن يُحبُّوا ما أحبَّ الله، ويكرَهُوا ما كَرِهَ الله، وقد قال ﷺ: «إنَّ اللهَ تَعَالَى يُحبُّ مَعَاليَ الأُمُور وأَشْرَافَهَا، ويَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»، «الصَّحيحة» (1378).

اللَّهمَّ قد أظلَّنَا شهرُ رمضان فسَلِّمهُ لنا وسلِّمْنَا له، وارزُقنا فيه الجدَّ في العمل، والقُوَّةَ في الطَّاعة، وحسنَ العبادة، واغتنامَ الأوقات، وأَعِذْنَا فيه من الفتَن ما ظهر منها وما بطن، إنَّكَ جوادٌ كريمٌ سميعُ الدُّعاء.



ماذا تعرف عن..
ذي القرنين؟

إبراهيم بويران
البويرة

ذكر الله تعالى قصَّة ذي القرنَيْن في القرآن الكريم في أواخر «سورة الكهف»، من قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [سُورَةُ الكَهْفِ]. وقد اختلف أهلُ العلم في شأنه: هل كان نبيًا أم لا؟ على أربعة أقوال:

القول الأوَّل- أنَّه كان نبيًّا

وهو مرويٌّ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (337/17) بإسناده إلى مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، قال: «ذو القرنَيْن نبيٌّ».

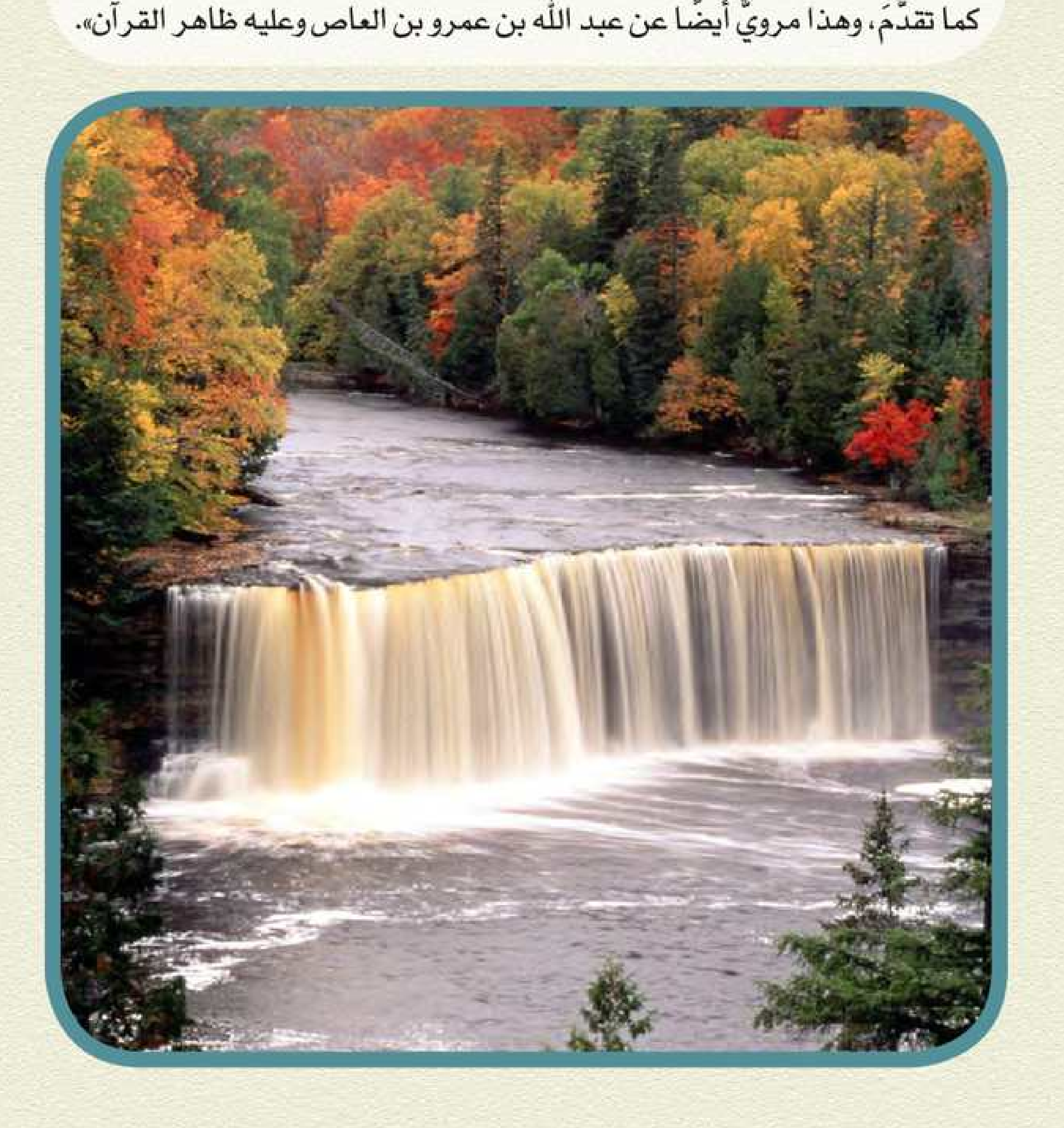
والإسناد إلى عبد الله بن عمرو بن العاص ضعيف، فيه: مُحمَّد بن عثمان ابن أبي شيبة، وجابر بن يزيد الجعفي، وهما ضعيفان.

أمَّا محمَّد بن عثمان بن أبي شيبة، فذكر الخطيب في «تاريخ بغداد» (46/3) عن البرقاني أنَّه قال: «لم أَزَلْ أسمعُ الشُّيوخَ يذكرون أنَّه مقدوحٌ فيه».

وأمَّا جابر بن يزيد الجعفي: فهو منسوبٌ إلى الرَّفض على ضعف فيه، وقد تركه النَّسائي ويحيى القطَّان وعبد الرَّحمن بن مهدي بآخرة، وكذَّبه جماعةٌ منهم: يحيي بن معين وأيُّوب، وذكروا أنَّه كان يؤمن بالرَّجعة كما في «ميزان الاعتدال» (103/2).

فالقول بنبوَّة ذي القرنين لا يثبُت إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وقد جزم الفخرُ الرَّازي في «تفسيره» بنبُوَّة ذي القرنين كما نقله عنه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (462/6) حيث قال: «قال الفخرُ الرَّازي في «تفسيره»: كان ذو القرنين نبيًّا»، ثمَّ قال الحافظ بعد ذلك: «وقد اختُلِفَ في ذي القرنَيْن فقيل كان نبيًّا كما تقدَّمَ، وهذا مرويٌّ أيضًا عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعليه ظاهر القرآن».



والَّذي يظهرُ من قول الحافظ: «وعليه ظاهر القرآن» أنَّه يميل إلى تقوية القول بنبوَّته.

وهذا الَّذي استظهره البقاعي كذلك في «تفسيره» (131/12)، حيث قال في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾: «إمَّا بواسطة الملَك إن كان نبيًّا، وهو أظهر الاحتمالات...».

وقول الحافظ ابن حجر: «و عليه ظاهر القرآن» يشير إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: 86]؛ فإنَّ هذه الآيةَ من أقوى ما استدلَّ به من قال بنبوَّته، وحملوا الخطابَ الواردَ فيها من الله تعالى لذي القَرنَين على أنَّه خطابُ وحي من جنس خطابه تعالى لأنبيائه ورسله، ومن لم يقل بنبوَّته قال: كان الخطاب بواسطة نبيٍّ في ذلك العصر، أو كان ذلك إلهامًا لا وحيًا.

قال الألوسي في «تفسيره» (355/8): «والحقُّ أنَّ الآيةَ ظاهرةُ الدَّلالة في نبوَّته، ولعلَّها أظهرُ في ذلك من دلالة قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ على نبوَّة الخضر عليه السلام، وكان الدَّاعي إلى صرفها عن الظَّاهر: الأخبارُ الدَّالَّة على خلافها، ولعلَّ الأولى في تأويلها أن يُقال: كان القول بواسطة نبيٍّ».

وممَّا استدلَّ به أيضًا من قال بنبوَّة ذي القَرْنَين، قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84]، قالوا: «المراد بالتَّمكين هنا: تمكينُه بالنُّبوَّة وإجراء المعجزات، ومن قال بعدم نبُوَّته قال: المراد بتمكينه

في الأرض: أنَّ اللهَ تعالى جعل له مُكنَةً وقدرةً على التَّصرُّف في الأرض، من حيث التَّدبيرُ والرَّأي، وكثرةُ الجنود والهيبة والوقار، وتمهيدُ الأسباب».

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «أي: وسَّعنا مملكته في البلاد وأعطيناه من آلات الملكة ما يستعين به على تحصيل ما يحاوله من المُهمَّات العظيمة والمقاصد الجسيمة»[1].

القول الثَّاني

أنَّه لم يكن نبيًّا

واختلف أصحابُ هذا القول، فمنْ قائل: إنَّه كان عبدًا صالحًا لا نبيًّا ولا مَلكًا، وهو مرويٌّ عن عليٍّ رضي الله عنه.

ومنْ قائل: بأنَّه كان مَلكًا ولم يُوحَ إليه وهو مرويٌّ عن ابن عبَّاس، ورُوِيَت في ذلك أحاديث.

أمَّا الأثر المرويُّ عن عليٍّ رضي الله عنه في أنَّ ذا القَرنَيْن كان عبدًا صالحًا ولم يكن نبيًّا فرواه: ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (40)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (334/17)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (1353)، وابن الأنباري في «المصاحف» (354)، وابن جرير في «تفسيره» (370/15) من طريق أبي الطُّفَيل، قال: «سمعتُ ابنَ الكَوَّا سأل عليًّا رضي الله عنه: أخبِرْني يا أميرَ المؤمنين ما كان ذو القرنين؟ أنبيًّا كان أم مَلكًا؟ قال: «لم يكن نبيًّا ولا ملكًا، ولكن كان عبدًا صالحًا أحبَّ اللهَ فأحبَّه، ونصح لله فنصحه الله، بعثه الله إلى قوم فضربوه على قرنه فمات، فأحياه اللهُ لجهادهم، ثمَّ بعثَهُ اللهُ إلى قوم فضربوه على قرنه الآخر فمات، فلذلكَ سُمِّي: ذو القرنين، وإنَّ فيكم مثلَه».

والسَّند إلى عليٍّ رضي الله عنه صحيحٌ، إلاَّ أنَّ لفظَه فيه نكارةٌ وغرابةٌ، والأشبه أن يكون من الإسرائيليَّات والله أعلم، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (463/6) بعد أن ذكر أثرَ عليٍّ هذا: «وفيه: لم يكن نبيًّا ولا ملكًا، وسنده صحيحٌ سمعناه في «الأحاديث المختارة» للحافظ الضِّياء، وفيه إشكال لأنَّ قوله: «لم يكن نبيًّا» مغايرٌ لقوله: «بعثه الله إلى قومه» إلاَّ أن يُحمَلَ البعثُ على غير رسالة النُّبوَّة».

وروى أبو الشَّيخ في «العظمة» (1449/4) عن أبي الورقاء قال: «قلتُ لعليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ذو القرنين ممَّ كان قرناه؟ قال: «لعلَّك تحسب قرنَيْه ذهبًا أو فضَّةً، كان نبيًّا فبعثه الله عز وجل إلى ناس، فدعاهم إلى الله عز وجل...» وهذا مخالفٌ لما ذكرناه عنه قَبْلُ من أنَّه كان عبدًا صالحًا ولم يكن نبيًّا».

إلاَّ أنَّ هذا الأثرَ لا يَصحُّ عن عليٍّ رضي الله عنه، في إسناده: الفضل بن معروف القُطيعي ذكره العقيلي في «الضعفاء» (1501)، وقال: «يُخالِفُ في حديثه، قليلُ الضَّبط»، وفيه أيضًا: عون بن أبي شدَّاد العَقيلي أبو معمر البصري، قال الحافظ في «التَّقريب»: «مقبول» أي: حيث يُتابَع وإلاَّ فليِّن الحديث.

وأمَّا الأثر المَرويُّ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في أنَّ ذا القرنين كان ملكًا ولم يُوحَ إليه، فرواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (339/17)، بإسناده إلى عكرمة عن ابن عبَّاس أنَّه قال: «كان ذو القَرنَيْن مِلكًا صالحًا أرضى الله

(1) «البداية والنِّهاية» (543/2).

عمله، وأثنى عليه في كتابه، وكان منصورًا وكان الخضر وزيره»، وهذا إسنادٌ واهٍ فيه ثلاثةٌ من الضُّعفاء: إسحاق بن بشر، وعثمان بن السَّاج، وخُصيف بن عبدالرَّحمن الجزري.

أمَّا إسحاق بن بشر فقال ابن عدي في ترجمته في «الكامل» (1/549 - 550)، بعد أن ذكر له بعض الأحاديث: «وهذه الأحاديث مع غيرها ممَّا يرويه إسحاق بن بشر هذا غير محفوظة كلِّها، وأحاديثه مُنكَرة، إمَّا إسنادًا أو متنًا، لا يتابعه أحد عليها».

وأمَّا عثمان بن السَّاج وخُصيف ابن عبد الرَّحمن الجزري، فالأوَّل ضعيف، والثَّاني صَدوقٌ سيِّئُ الحفظ خلَّط بآخرة ورُمِيَ بالإرجاء كما في ترجمتهما في «التَّقريب».

واحتجَّ مَنْ قال بعدم نبوَّة ذي القرنَيْن بحديث صريح رُوي مرفوعًا عن النَّبيِّ ﷺ وفيه أنَّ ذَا القرنَيْن كان ملكًا من الملوك، إلاَّ أنَّه لا يثبت، جاء من طُرق كلِّها مراسيل مع ما في أسانيدها من الضَّعف.

من تلك الطُّرق ما أخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص38)، وأبو الشَّيخ في «العظمة» (4/1479) عن خالد بن معدان الكلاعي أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن ذي القرنين فقال: «مَلِكٌ مَسَحَ الأَرْضَ مِنْ تَحْتِهَا بِالأَسْبَابِ».

خالد بن معدان الرَّاوي عن النَّبيِّ ﷺ من أواسط التَّابعين يروي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ فروايته مرسلة، قال عنه الحافظ في «التَّقريب»: «ثقة عابدٌ يرسل كثيرًا، من الثَّالثة».

وأخرجه ابن أبي حاتم، من طريق أخرى مرسلة، عن الأحوص بن حكيم عن النَّبيِّ ﷺ، والأحوص هذا ضعيف، وأبوه حكيم هو ابن عمير بن الأحوص صدوق يَهِمُ، من أواسط التَّابعين.

وأخرجه الشِّيرازي في «الألقاب» كما في «الدُّرِّ المنثور» (9/632) عن جُبَير ابن نُفير، أنَّ أحبارًا من اليهود قالوا للنَّبيِّ ﷺ: «حدِّثنا عن ذي القرنين إن كنت نبيًّا؟، فقال رسول الله ﷺ: «هُوَ مَلِكٌ مَسَحَ الأَرْضَ بِالأَسْبَابِ»، وجُبَيْر ابن نُفَير هو ابن مالك بن عامر الحضرمي أبو عبد الرَّحمن ويُقال: أبو عبد الله الحمصي، تابعي مخضرم.

قال الحافظ في «التَّهذيب» (1/292): «أدرك زمانَ النَّبيِّ ﷺ وروى عنه، وعن أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه مُرسَلاً، وعن عمر بن الخطَّاب وفي سماعه منه نظر».

وقال ابن حبَّان في «الثِّقات» (2/63): «أدرَكَ الجاهليَّةَ ولا صحبة له».

القول الثَّالث: أنَّه كان ملكًا من الملائكة

ورُوِيَ ذلك عن عمر رضي الله عنه، رواه ابن جرير في «تفسيره» (15/390)، قال: «حدَّثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، قال فحدَّثني محمَّد بن إسحاق، عن ثور ابن يزيد، عن خالد بن معدان الكلاعي، أنَّ عمرَ رضي الله عنه سمع رجلاً يقول: يا ذا القرنين، فقال: «اللهم غُفرًا، أمَا رَضِيتُمْ أن تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الأنبياء، حتَّى تَسَمَّوْا بأسماء الملائكة؟».

وأخرجه أبو الشَّيخ في «العظمة» (4/1479) من طريق سلمة به.

وأخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص39) من طريق محمَّد ابن إسحاق به.

وهذا إسناد فيه ضعف، سَلَمة هو ابن الفضل صدوق كثيرُ الخطأ كما في «التَّقريب»، وخالد بن معدان في سماعه من عمر بن الخطَّاب نظر كما تقدَّم عن الحافظ، فالأثر لا يصحُّ عن عمر رضي الله عنه؛ والله أعلم.

القول الرَّابع: التَّوقُّف في أمره

واحتجَّ أصحابُ هذا القول بحديث رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ في ذلك ولفظه: «مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينًا كَانَ أم لا؟ ومَا أَدْرِي ذو القَرْنَيْنِ نَبِيًّا كَانَ أَمْ لاَ؟ ومَا أَدْرِي الحُدُودُ كَفَّارَاتٌ لأَهْلِهَا أَمْ لاَ».

الحديث أخرجه أبو داود في «السُّنن» (4674)، والحاكم في «المستدرك» (2/307)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (3/251)، والبزَّار في «مسنده» كما في «المجمع» (6/265)، والحنائي في «الفوائد» (28) كلُّهم من طريق عبد الرَّزَّاق، قال: «أنبأنا معمر عن ابن أبي ذئب، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ فذكره.

وقد اخْتُلِفَ في صحَّة هذا الحديث؛ فصحَّحه الحاكم ووافقه الذَّهبي والعلاَّمةُ الألباني رحمه الله في «الصَّحيحة» (5/251) ونَقَل عن البخاري والحنائي إعلالَه بالإرسال، فقال: «وقد أُعِلَّ بالإرسال، فقال الحنائي عقبه: غريب، ورواه هشام بن يوسف الصَّنعاني عن ابن أبي ذئب عن الزُّهري عن النَّبيِّ

ﷺ مُرسلاً، وهو الأصحُّ، وذكر البيهقي نحوه عن البخاري».

كما رجَّحَ إرسالَه العلاَّمةُ مقبل ابن هادي الوادعي ﵀ في كتابه «تتبُّع أوهام الحاكم الَّتي سكت عليها الذَّهبي» المطبوع بهامش «المستدرك» (529/2).

وأعلَّه البخاري بعلَّة أخرى في المتن، فقال كما في «التَّاريخ الكبير» (154/1): «والأوّل أصحُّ - أي: المرسل -، ولا يثبت هذا عن النَّبيِّ ﷺ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «الحُدُودُ كَفَّارَةٌ».

والبخاري يشيرُ بذلك إلى الحديث الَّذي أخرجه في «صحيحه» (3893)، وكذا مسلم (1709) عن عبادة ابن الصَّامت ﵁، وفيه: كنَّا مع النَّبيِّ ﷺ في مجلس فقال: «تُبَايِعُونِي على أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، ولا تَزْنُوا، ولا تَسْرِقُوا، ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بِالحَقِّ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ على اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ به، فهُوَ كَفَّارَةٌ له وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا من ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَأَمْرُهُ إلى اللهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ».

وقد أجاب عن هذه العلَّة من صحَّحَ الحديثَ فقال: «يحتمل أنَّه ﷺ قاله في وقت لم يأته فيه العلمُ عن الله، ثمَّ لمَّا أتاه قال ما رُوِّيناه في حديث عبادة وغيره» انظر «الصَّحيحه» (252/5).

وهذا الاحتمال والله أعلم ربَّما تُدفَعُ به علَّة المتن، لكن تبقى العلَّة الإسناديَّة وهي الإرسال وهي كافية في إعلال الحديث، والله أعلم.

وعلى فرض صحَّة الحديث فإنَّه لا حُجَّةَ فيه لمن توقَّفَ في أمر ذي القرنين؛ لاحتمال أنَّه ﷺ حصل منه هذا الشَّكُّ قبل أن يتَبيَّن له أمرُه، ويأتيه فيه العلم عن الله تعالى كما سبق بيانه.

قال الألوسي ﵀ في «تفسيره» (352/8): «وتوقَّف بعضُهم لما أخرجه عبد الرَّزَّاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم وصحَّحه عن أبي هريرة - وساق الحديث - ثمَّ قال: «وأنتَ تعلمُ أنَّ هذا النَّفي لم يكن ليستمرَّ لرسول الله ﷺ، فيمكن أن يكون درى ﷺ فيما بعد أنَّه لم يكن نبيًّا؛ كما يدلُّ عليه ما رُوِيَ عن عليٍّ - كرَّم الله وجهه -[2] فإنَّه لم يكن ليقول ذلك إلاَّ عن سماع، ويشهد لذلك ما أخرجه «ابن مردويه» عن سالم عن ابن أبي الجعد قال: سُئِلَ عليٌّ - كرَّم الله وجهه - عن ذي القرنين أنبيٌّ هو؟ فقال: سمعت نبيَّكم ﷺ يقول: «هُوَ عَبْدٌ نَاصَحَ اللهَ تعالى فنَصَحَهُ».

والَّذي يترجَّحُ من هذه الأقوال الأربعة في أمر ذي القرنين، والعلم عند الله تعالى: أنَّه كان مَلِكًا عادلاً وعبدًا صالحًا ولم يكن نبيًّا، مكَّن الله ﷻ له في الأرض، وهيَّأ له من الأسباب ما بلغ به مشارق الأرض ومغاربها وملك به الأقاليم.

وهذا الَّذي عليه جمهورُ أهل العلم، وهو الَّذي يدلُّ عليه سياق ما قصَّه الله علينا في كتابه من أموره وأخباره.

قال الإمام ابن كثير ﵀ في «البداية والنِّهاية» (537/2 - 543): «ذَكَرَ اللهُ تعالى ذا القرنين هذا، وأثنى عليه بالعدل، وأنَّه بلغ المشارقَ والمغاربَ، وملك الأقاليم، وقهر أهلَها، وسار فيهم بالمعدلة التَّامَّة، والسُّلطان المُؤَيَّد المُظَفَّر المنصور القاهر المقسط، والصَّحيح أنَّه كان مَلِكًا من الملوك العادلين».

(2) الأَوْلى التَّرضِّي عنه كسائر الصَّحابة وعدم تخصيصه بهذا الوصف، قال الإمام ابن كثير في «تفسيره» (478/6): «وقد غلب هذا في عبارة كثير من النُّسَّاخ للكتب، أَنْ يُفْرَدَ عليٌّ ﵁، بأن يقالَ: «﵇»، من دون سائر الصَّحابة، أو: «كرَّم الله وجهَه» وهذا وإن كان معناه صَحيحًا، لكن ينبغي أن يُسَاوى بين الصَّحابة في ذلك؛ فإن كَانَ هذا من باب التَّعظيم والتَّكريم، فالشَّيخان وأميرُ المؤمنين عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ أَوْلى بذلكَ منه، ﵃ أجمعين».

سبب تسميته بذي القرنين

اختلف أهل العلم والتَّاريخ في ذلك جدًّا: فذهب بعضُ المُفسِّرين والمُؤرِّخين إلى أنَّ سببَ تسميته بذلك ما رواه ابن جرير في «تفسيره» (370/15 - 371) عن وهب بن مُنبِّه، قال: «حدَّثني محمَّد ابن سهل البخاري، قال: ثنا إسماعيل ابن عبد الكريم قال: ثنا عبد الصَّمد ابن مَعقل: قال وهب بن مُنبِّه: كان ذو القرنين مَلِكًا، فقيل له: فلِمَ سُمِّيَ ذا القرنين؟ قال: اخْتَلَفَ فيه أهلُ الكتاب، فقال بعضهم: مَلَكَ الرُّومَ والفرس، وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين».

وأخرجه أبو الشَّيخ في «العظمة» (1444/4)، فقال: «حدَّثنا أحمد ابن محمَّد بن شُرَيح، حدَّثنا محمَّد بن رافع، حدَّثنا إسماعيل به»).

وهذا إسنادٌ حسنٌ، إسماعيل ابن عبد الكريم صدوق، وعبد الصَّمد ابن

والَّذي يترجَّحُ من هذه الأقوال الأربعة في أمر ذي القرنين، والعلم عند الله تعالى: أنَّه كان مَلِكًا عادلاً وعبدًا صالحًا ولم يكن نبيًّا، مكَّن الله ﷻ له في الأرض، وهيَّأ له من الأسباب ما بلغ به مشارق الأرض ومغاربها وملك به الأقاليم

معقل الرَّاوي عن وهب صدوق أيضًا، وهو ابن أخي وهب بن منبِّه، وشيخ ابن جرير: محمَّد بن سهل البخاري ثقة، ووهب ثقة لكنَّه أخباري.

وذهب بعضُهم إلى غير ذلك، قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ الله بعد أن ساق جملةً من الأقوال في ذلك: «وقيل: لأنَّه بلغ قرني الشَّمس غربًا وشرقًا، وملك ما بينهما من الأرض، وهذا أشبه من غيره، وهو قول الزُّهري».

وقال العلاَّمة العثيمين رَحِمَهُ الله في «تفسير سورة الكهف»: «والحقيقة أنَّ القرآنَ العظيمَ لم يبيِّن سببَ تسميته بذي القرنين، لكنَّ أقربَ ما يكون للقرآن العظيم: المالك للمشرق والمغرب، وهو مناسب تمامًا، حيث قال النَّبيُّ ﷺ عن الشَّمس إنَّها: «تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ».

من محاسن ذي القرنين

من محاسن ذي القرنين وأعماله الجليلة: ما ذكره الله تعالى عنه في «سورة الكهف» من بنائه السَّدَّ العظيم الَّذي منع به يأجوج ومأجوج من الإفساد في الأرض، وقد شكَّك بعضهم في وجود هذا السَّدِّ، بينما ذهب آخرون إلى إنكار وجوده من أصله، بحجَّة أنَّ الكشَّافين والسَّائحين قد اكتشفوا الأرض كلَّها، ولم يتركوا منها بقعةً إلاَّ أَتَوْا عليها، ولم يعثُروا على هذا السَّدِّ، ولا على يأجوج ومأجوج.

وهذه دعوى باطلة مخالفة لما أخبر الله به ورسولُه من وجود يأجوج ومأجوج في هذه الدُّنيا، وكذا السَّدَّ الَّذي بناه ذو القرنين عليهم، فالواجب اعتقاد وجوده وأنَّه حقٌّ ثابت، كما دلَّت على ذلك الدَّلائل الشَّرعيَّة من الكتاب والسُّنَّة، وعدم الالتفات إلى تشكيكات العقلانيِّين والملحدين.

وقد ورد حديث مرفوعٌ إلى النَّبيِّ ﷺ أنَّ رجلاً أخبر النَّبيَّ ﷺ أنَّه رأى سدَّ يأجوج ومأجوج فطلب منه أن ينعته له فنعته، فقال: «رَأَيْتَهُ».

الحديث: علَّقه البخاري في «صحيحه» بصيغة الجزم في «كتاب أحاديث الأنبياء» باب «قصَّة يأجوج ومأجوج»، قال رَحِمَهُ الله: «قال رجلٌ للنَّبيِّ ﷺ: «رَأَيْتُ السَّدَّ مِثْلَ البُرْدِ المُحَبَّرِ، قال: «رَأَيْتَهُ».

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (6/466): «وصله ابن أبي عمر من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن رجل من أهل المدينة؛ أنَّه قال للنَّبيِّ ﷺ: «يا رسول الله قد رأيتُ سدَّ يأجوج ومأجوج، قال: كيف رأيته؟ قال مثل البُرْدِ المُحبَّر طريقة حمراء، وطريقة سوداء، قال: «رَأَيْتَهُ»، وذكر الحافظ في «تغليق التَّعليق» (13.4/12) طُرقَ هذا الحديث وصحَّح إسنادَه إلى قتادة، حيث قال: هذا إسنادٌ صحيحٌ إلى قتادة، فإن كان سمعَه من هذا الرَّجل، فهو حديثٌ صحيحٌ؛ لأنَّ عدمَ معرفة اسم الصَّحابي لا تضرُّ عند الجمهور؛ لأنَّهم كلَّهم عدولٌ؛ لكن قد اختلف فيه على قتادة» فذكر الاختلاف إلى أن قال: «ورواه البزَّار في «مسنده»، من هذا الوجه بإسناد حسن».

والَّذي يظهرُ والله تعالى أعلم أنَّ الحديثَ لا يصل إلى درجة الحسن، كما قال الحافظ وإليك سند الحديث كما عند البزَّار (2089)، قال رَحِمَهُ الله: «حدَّثنا عمرو بن مالك: أبنا محمَّد ابن حمران: ثنا عبد الملك بن نعامة الحنفي: عن يوسف بن أبي مريم الحنفي قال:



بينـا أنا قاعدٌ مع أبي بكرة، إذ جاء رجلٌ فسلَّم عليه، فقال: أما تعرفني؟ فقال له أبـو بكرة: من أنتَ؟ قال: تعلم رجلاً أتى النَّبيَّ ﷺ فأخبره أنَّه رأى الرَّدم؟ فقال أبو بكرة: أنتَ هو؟ قال: نعم، قال: اجلس حدِّثنا»...فذكره.

قال البزَّار: «لا نعلم أحدًا رواه إلاَّ أبو بكرة ولا له إلاَّ هذا الطَّريق».

الحديـث: فيه شيـخ البـزَّار، عمرو بن مالـك الرَّاسبي، قال فيـه ابن عدي كمـا في «التَّهذيـب» (301/3): «مُنكَـر الحديث عن الثِّقـات، ويسرق الحديث، وقال سمعت أبا يعلى يقول: كان ضعيفًا».

وفي إسناد الحديث جهالة أيضًا، قال الهيثمـي في «المجمـع» (246/8): «رواه البـزَّار عن شيخه عمـرو ابن مالك تركه أبـو زرعـة وأبو حـاتم، ووثَّقه ابـن حبَّان وقال: يخطئ ويُغرب، وفيه من لم أعرفه».

وذكـر ابـن كثـير في «تفسـيره» (192/9): «أنَّ الخليفـةَ الواثق بعث في دولتـه بعضَ أمرائـه، ووجَّه معـه جيشًا سَرِيَّـة؛ لينظـروا إلى السَّـدِّ ويعاينـوه، وينعتـوه له إذا رجعوا، فتوصَّلوا من بلاد إلى بـلاد، ومـن مُلـك إلى مُلْـك، حتَّى وصلـوا إليـه، ورأَوْا بنـاءه مـن الحديد ومن النُّحاس، وذكروا أنَّهم رأَوْا فيه بابًا عظيمًا، وعليه أقفالٌ عظيمةٌ، ورأَوْا بقيَّةَ اللَّـبِن والعمل في برج هنـاك، وأنَّ عنده حرسًا من الملـوك المتاخمة له، وأنَّه عالٍ منيفٌ شاهقٌ لا يُستطَاعُ، ولا ما حوله من الجبال، ثمَّ رجعـوا إلى بلادهم، وكانت غيبتهم أكثرَ من سنتين، وشاهدوا أهوالاً وعجائـبَ» هكذا ذكرَ ابنُ كثير رحمه الله هذه القصَّة بغير سند.

ثـمَّ وقفتُ علـى كلام للألوسي رحمه الله في «تفسـيره» (61/9) يُضعِّفُ فيه هذه القصَّة، قـال: «وأمَّا ما ذكره بعضهم من أنَّ الواثـقَ بـالله العبَّاسـي أرسل سلامًا التُّرجُمان للكشف عن هذا السَّدِّ، فذهب جهةَ الشَّمال في قصَّة تطول حتَّى رآه ثمَّ عـاد، وذكر له من أمـره ما ذكر، فثقات المؤرِّخين على تضعيفه، وعندي أنَّه كذبٌ لما فيه ممَّا تأبى عنـه الآية كما لا يخفى على الواقف عليه تفصيلاً».

۞۞۞

فالَّذي يظهرُ من أمر سدِّ ذي القرنين ـ والله أعلـم ـ: أنَّـه لا يعلـم أحـدٌ مكانَـه بالتَّحديـد، وأنَّ الله تعـالى قـد أخفاه عن العباد كما أخفى أمرَ الدَّجال، مع أنَّ النَّبيَّ ﷺ قـد أخبر أنَّـه في أحـد الجُـزُر، وأنَّ بعضَهم قد رآه كما في حديث تميم الدَّاري رضي الله عنه الَّـذي رواه «مسلـم» (2942) إلاَّ أنَّنا نقول: إنَّ عدمَ الوجدان لا يستلزم عدمَ الوجود، والواجب الإيمان بكلِّ ما أخبر الله به ورسولُه إيمانًا جازمًا لا شكَّ فيه.

قـال الألوسـي رحمه الله في «تفسـيره» (359/8): «وقيـل: همـا ـ أي السَّدَّين ـ بموضع مـن الأرض لا نعلمـه، وكم فيها مـن أرضٍ مجهولة، ولعلَّـهُ قد حال بيننا وبين ذلك الموضع مياه عظيمة، ودعوى استقـراء سائـر البـراري والبحار غير مُسلَّمَـة، ويُجَوِّزُ العقلُ أن يكون في البحر أرضٌ نحو أمريقا لم يُظفَر بها إلى الآن، وعـدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود، وبعـد أخبـار الصَّادق بوجـود هذيـن السَّدَّين، ومـا يتبعهمـا؛ يلزمنا الإيمان بذلك كسائر ما أخـبر به من الممكنَات، والالتفـات إلى كلام المُنكِرين ناشئٌ عن قلَّة الدِّين».

والله أعلـم وصلَّـى الله وسلَّـم على نبيِّنا محمَّد وعلـى آله وصحبه أجمعين، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.



وقفات مع حديث:

«يمرقُون منَ الإسلام كمَا يمْرُقُ السَّهمُ منَ الرَّميَّة...»

د. عبد الخالق ماضي
أستاذ بجامعة وهران

روى البخاري (3610) ومسلم (1064)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

«بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فقال: يا رسولَ اللَّه اعْدِلْ.

فقال: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ».

فقال عمرُ: يا رسولَ اللَّه، ائْذَنْ لي فيه فأَضْرِبَ عُنُقَه؟

فقال: «دَعْهُ؛ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، - وَهُوَ قِدْحُهُ - فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ».

قال أبو سعيد: فأشهدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحديثَ من رَسُولِ اللَّه ﷺ، وأشهدُ أَنَّ عَلِيَّ بنَ أبي طالب قَاتَلَهُمْ وأنا مَعَه، فَأَمَرَ بذَلكَ الرَّجُلِ فالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ».



الوقفة الأولى:

من المقصود بهذا الحديث؟

الَّـذي عليه أهـلُ العلـم أنَّ المقصودَ بهـذا الحديث رأسًا هـم الخوارج، وهم فرقـةٌ خرجَتْ لقتال عليٍّ بـنِ أبي طالب رضي الله عنه بسبـب التَّحكيـم، ومذهبُهـم البـراءةُ مـن عثمـان وعلـيٍّ رضي الله عنهما، والخـروجُ علـى الإمـام إنْ كان ظالمًا أو فاسقًـا، وتكفيرُ مُرتكـبِ الكبيرة والقولُ بتخليـده في النَّـار، إلى غـير ذلـك من مُعتَقَداتهم، ففي سَنَة سَبْع وثلاثين وقعتْ مَوقِعَـةُ صفِّـينَ، وفيهـا رفَعَ أهـلُ الشَّام المصاحِـفَ، ودعَـوْا إلى الحُكـم بمـا في كتـاب الله، وقبل عليٌّ ذلك، ثمَّ إنَّ بعضَ جَيشِه اعْتَرَضُوا على قبولِ التَّحكيم بعد ذلك فكانت فرقة الخوارج، الَّذينَ كفَّروا عليًّـا رضي الله عنه، ثـمَّ جعلـوا مَنْ تـبرَّأ من عُثمَـانَ وعلـيٍّ وطلحةَ والزُّبَـيْر والحُكَّام من بنـي أُمَيَّةَ فهو منهـم، وانحازُوا بعدَ ذلك، وكوَّنوا قُوَّةً تقـوم على مَبْدَإ تكفيرِ العُصَاة مـن أُمَّة مُحمَّد صلى الله عليه وسلم واعتبارهم من المُخَلَّدين في النَّار.

وبـدأ الخـروجُ علـى الإمـام، وقد جَهَـد أميرُ المؤمنـين عليٌّ في ردِّهم عن غيِّهـم وإزالـةِ الشُّبهةِ عنهـم، ولكنَّهم لم يَقبَلُـوا منـه، بـل كانـوا يقاطعونـه ويُؤذونه ويشْتُمُونَـه، وانتهى بهم الأمر إلى قتاله رضي الله عنه.

قـال شيخُ الإسلام ابـن تيمية رحمه الله «مجمـوع الفتـاوى» (279/3) : «وأوَّل بدعة حدثتْ في الإسلام بدعةُ الخوارج والشِّيعـة، حدَثَتَا في أثنـاء خلافة أمير المؤمنـين علـيِّ بـن أبي طالـب، فعاقب الطَّائفَتَـيْن، أمَّـا الخـوارجُ فقاتلـوه فقَتَلَهـم، وأمَّـا الشِّيعةُ فحـرَّقَ غاليَتَهم بالنَّـار، وطَلَـبَ قتـلَ عبد الله بـن سبأ فهَـرَبَ منه، وأمَرَ بجَلْد من يُفضِّله على أبي بكر وعمر».

وقـال أيضًـا (305/25): «وقولُه: «تَمْـرُقُ مَارِقَـةٌ عَلَـى حِـينِ فُرْقَـةٍ مِـنَ المُسْلِمِـينَ، يَقْتُلُهُمْ أَدْنَـى الطَّائفَتَيْنِ إِلَى الحَـقِّ»، أخرجـاه في «الصَّحيحـين»، فكانت هذه الحروريَّةُ هي المارقةُ»، وقال في «الجـواب الصَّحيـح» (114/6): «وهـؤلاء ظهـروا بعـد موتـه صلى الله عليه وسلم ببضع وعشريـن سنةً في أواخـر خلافة عليٍّ لمَّا افترق المسلمـون وكانت الفئةُ بين عَسْكَر عليٍّ وعسكـر معاوية وقتلهم عليُّ بن أبي طالب وأصحابُـه وهم أَدْنَـى الطَّائفتَيْنِ إلى الحقِّ»

الوقفة الثَّانية:

كثرةُ النُّسُك والعبادةُ ليست دليلاً علَى الاستقامة

الخوارجُ ذكَرَ عنهمُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّهم مُجتهِـدُون اجتهـادًا كبـيرًا في العبادة، فقـال: «يَحْقِـرُ أَحَدُكُـمْ صَلاَتَـهُ مَـعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَـاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ»، ورُغمَ ذلك فهـم يمرُقُـون مـن الإسـلام، بسبب ما تلبَّسُوا به من البدعة الغليظة، ورُبَّمَا كان بعضُ العصاة ممَّـن يعاقـرُونَ الكبائرَ أفضـلَ من هـؤلاء العابديـن المُبتَدعينَ، قال الشَّيـخُ أبو العَبَّاس ابـنُ تيمية رحمه الله «الاستقامـة» (258/1): «ولا ريـبَ أنَّ الخـوارجَ كان فيهـم مـنَ الاجتهـاد في العبـادة والوَرَع ما لم يَكُـنْ في الصَّحَابة كمـا ذكـرَه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، لكـن لمَّا كان على غـير الوجـه المشـروع أفضـى بهـم إلى المروق مـن الدِّين، ولهذا قـال عبد الله ابنُ مسعود وأُبيُّ بنُ كعـب: «اقْتِصَادٌ في سنَّة خيرٌ من اجتهاد في بدعة».

«فـإذا كانَ الَّذيـنَ يقومـون اللَّيـلَ، ويصومـون النَّهـارَ، ويقـرؤون القـرآنَ، أَمَرَ النَّبـيُّ صلى الله عليه وسلم بقتالهـم؛ لأنَّهم فارقوا السُّنَّـة والجماعـةَ، فكيـف بالطَّوائـف الَّذيـن لا يلتزمـونَ شرائـعَ الإسلام»[1]، «فالمُبتَـدِعُ العابـدُ الجاهـلُ يُشبههمَ من هذا الوجه»[2].

الوقفة الثَّالثة:

البدعةُ أشدُّ من الكبيرة

في الأمـر بقتال الخـوارج، بل ثبوت الأجرِ الكبير لمن قتَلَهم دليلٌ على شناعة البدعِ، وأنَّهـا أَخْطَرُ مـن الكبائر؛ إذ لم يَـردْ مثلُه في حقِّ مُرتَكبـي الكبائر، فعن عَلـيٍّ رضي الله عنه قـال: سمعـتُ النَّبـيَّ صلى الله عليه وسلم



(1) «مجموع الفتاوى» (52/22).
(2) «الرد على الإخنائي» (ص 213).

يَقُولُ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ»، رواه البخاري (3611) ومسلم (1066)، ففي الأمر بقتالهم على بدعتهم استعظامٌ لشَرِّها، ولم يَأْتِ مثلُه في أهل الكبائر، فهم في بدعتهم أَشَدُّ من أهل الكبائر في كبائرهم، وروى البخاري (3344) ومسلم (1064) عن أبي سَعيد رضي الله عنه، قال بعثَ عليٌّ رضي الله عنه إلى النَّبيِّ ﷺ بذُهَيْبَة فقسَمَها بين الأربعة؛ الأَقْرَع بن حَابسٍ الحنظليِّ ثمَّ المُجاشعي، وعُيَيْنَةَ بن بَدْر الفزاري، وزَيد الطَّائي ثمَّ أَحَد بني نَبْهَانَ، وعَلْقَمَةَ بن عُلاَثَةَ العَامري ثمَّ أَحَد بني كلاَب، فغَضبَتْ قُرَيْشٌ والأَنْصَارُ؛ قالوا: يُعْطي صَنَاديدَ أَهْلِ نَجْدٍ ويدَعُنَا، قال: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ» فأَقْبَلَ رَجلٌ غائرُ العينَيْنِ مُشرفُ الوَجنَتَيْنِ ناتئُ الجبينِ كثُّ اللِّحيَةِ محْلوقٌ فقال: اتَّقِ اللهَ يا محمَّدُ، فقال: «مَنْ يُطع اللهَ إِذَا عَصَيْتُ، أَيَأْمَنُني اللهُ على أَهْلِ الأَرْضِ فَلاَ تَأْمَنُوني»، فسأَلَه رجلٌ قتلَهُ - أَحْسِبُهُ خَالدَ بنَ الوَليد - فمنعهُ، فلمَّا ولَّى قال: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا - أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا - قَوْمًا يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»، ففي هذا الحديث عَزْمُه على قتال الخوارج، حسمًا لمادَّة بدعتهم، ومُبالَغةً منه في تقبيحها، وفي هذا تعظيمٌ لشرِّ البدعة، وبيان خطرها، وأنَّ البدعةَ أشدُّ ضررًا من الكبائر، وأكبرُ خطرًا.

واشتدادُ أمرِ البدع حتَّى عَظُمَت على الكبائر؛ هو بالنَّظر إلى مُتَعَلَّقها، وما فيه من الاستدراك على الشَّريعة، ونسبَتها إلى النَّقص، والقول بعدم تمام تبليغ النَّبيِّ ﷺ للدِّين كلِّه، وشَرْعِ ما لم يَأْذَنْ به الله تعالى.

قال سفيان الثَّوري رحمه الله: «البدعةُ أَحبُّ إلى إبليسَ من المعصية، والمعصيةُ يُتَابُ منها، والبدعةُ لا يُتَابُ منها»[3].

وفاعلُ الكبيرة يَقَعُ في نفسه أنَّه مُخالفٌ للشَّريعة، أمَّا فاعلُ البدعة؛ فإنَّه يَنسبُ فعلَه إليها، ويجعلُه دينًا يَتقرَّبُ به، ومن وعى ما يتعلَّقُ بالبدع؛ عَرَفَ قدرَ شُؤْمها، وأنَّها مُشتملةٌ على أصولٍ مُتعَدِّدة من ألوان الشَّرِّ.

الوقفة الرابعة:

البدعةُ سببٌ لاحتجاز التَّوبة عن صاحبها

مِن شُؤمِ البدعة، وجنايتها على فاعلها؛ أنَّ اللهَ عز وجل احْتَجَزَ التَّوبةَ عنه، وهو لفظُ حديث مرفوع إلى النَّبيِّ ﷺ يَرويه أنسٌ رضي الله عنه: «إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحبِ كُلِّ بِدْعَةٍ» رواه إسحاق بن راهوية في «المسند» (377/1)، والطَّبراني في «الأوسط» (281/4)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (21/1)، والبيهقي في «الشُّعَب» (54/12)، وصحَّحه الألباني في «صحيح التَّرغيب» (54)، والمقصود: منعُه من التَّوبة، فلم تَكُنْ له رغبةٌ فيها، ولا مُكنَةٌ منها؛ لأنَّ هواه أَغْرَاهُ ببدعَته، فجاراه واسْتَسْلَمَ له، وهو المذكورُ في قول الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 24]؛ فإنَّه يريد أن يهتديَ فلا يهتدي، ويريدُ أن يَتوبَ فلا يتوب لغلبة هواه عليه، وفي قوله ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» عدمُ رجوعهم إلى الإسلام؛ لأنَّهم رغبُوا عنه بالبدعة الَّتي ابْتَدَعُوها، وهو دليلٌ على احتجاز التَّوبة عنهم، وفي رواية لمسلم (1067): «ثُمَّ لاَ يَعُودُونَ فِيهِ»، وسُئِلَ الإمامُ أحمدُ عن معنى ذلك فقال: «لاَ يُوَفَّقُ للتَّوْبَةِ»[4]، فتتجارى بهمُ الأهواءُ، وتُشْرَبُها قلوبُهم، وتتمكَّنُ منها فلا يَنْزِعُون عنها، ولا يعودون إلى السَّبيل والسُّنَّة، ومَنْ شَرِبَ مِنْ مُستَنْقَع الهوى؛ لم يَزَلْ مُتلوِّنًا، فهُوَ يخرُجُ مِنْ بَلاءٍ إلى بلاءٍ، ومن الضَّلال المُعلَن تسميتُهم - أي أهلَ البدع - تلوُّنَهم ذلك بمقتضى المَرحَلَة، أو طبيعة الأحداث، فلا يَعُدُّونَه تلوُّنًا، بل لَوْنًا يُناسبُ زمانَه، وهذا معنى قوله ﷺ: «ثُمَّ لا يَعُودُونَ فيه»، وأهلُ البدع، وأهلُ الأهواء تكون توبتُهم باتِّباعهم السُّنَّةَ، ولا يُكتَفى منهم بذلك - كما ذكره ابن القيِّم رحمه الله - في «مدارج السَّالكين» (363/1) حتَّى يُبيِّنُوا فسادَ ما كانوا عليه من هوى وبدعة؛ إذ التَّوبةُ من ذنب هي بفعل ضدِّه، واستدلَّ ابنُ القيِّم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)﴾ [البقرة] فجعَلَ توبتَهُم ببيان ما كانوا يكتُمُونه، وصاحبُ الهوى أشدُّ حالاً من كاتم الحقِّ؛ لأنَّه يكتُمُ الحقَّ، ويدعو إلى خلافه، فهو أَوْلى بالتَّشديد عليه بوجوب بيان فساد بدعَته، ورُجُوعه صراحةً عن ضلاله وهواه.

هذا ما تيسَّر ذكرُه من وَقَفَات مع هذا الحديث، فما من خطأٍ فمنِّي وحدي، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للَّه ربِّ العالمين.

(3) «أصول الاعتقاد» اللالكائي (149/1).

(4) «كتاب فضل الإسلام» (ص35).



د/عادل مقراني
أستاذ بجامعة الأمير عبد القادر ـ قسنطينة

جناية التأويل الفاسد على نصوص الكتاب والسنة

يُعَدُّ التَّأويل الفاسد أخطرَ سبيلٍ سلكه أصحابُ العقول السَّقيمة، والقلوب المريضة، وقد ضلَّ بسَببه خلقٌ كثير، وفرقٌ يَصعُب حصرُها؛ كالخوارج والمعتزلة والأشاعرة والشِّيعة والمرجئة والباطنيَّة، وصولاً إلى مدارس الحداثيِّين في هذه الأزمنة المتأخِّرة، فتحوا على الأمَّة بتأويلاتهم الفاسدة أبوابًا من الشُّرور جنت على الدِّين وأهله؛ لأنَّ «أصلَ خرابِ الدِّين والدُّنيا إنَّما هو من التَّأويل الَّذي لم يُرِدْه اللهُ ورسولُه بكلامه ولا دلَّ عليه أنَّه مرادُه»[1].

فالتَّأويل الفاسد قد عظُمَت جنايتُه على الكتاب والسُّنَّة، وتسرَّب من ثغره مَنْ أراد نشرَ الأهواء والبدع والضَّلالات في عقول أبناء الأمَّة المُسلمة في مدارسها وثانويَّاتها وجامعاتها، وفي كلِّ مكانٍ لا يُتلَقَّى فيه العلمُ من أفواه من تربَّوْا على منهج السَّلف الصَّالح، وسلمَتْ عقيدتُهم ومنهجُهم؛ لأنَّهم أهلُ الخيرِ في كلِّ زمانٍ ومكان.

(1) «إعلام الموقِّعين» (4/239ـ240).

❊ التَّأويل لغةً واصطلاحًا:

أوَّلاً ـ التأويل لغةً:

التَّأويل مصدرٌ على وزن التَّفعيل، ومادَّتُه اللُّغويَّةُ على عِدَّة معانٍ وهي:

1 ـ المرجع والمصير والعاقبة: قال الرَّاغب رَحِمَهُ اللهُ: «التَّأويل: ردُّ الشَّيء إلى الغاية المُرادَة منه قولاً أو فعلاً»[2].

وقال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «وأمَّا التَّأويل فآخِرُ الأمر، وعاقبته، يُقالُ إلى أيِّ شيءٍ آل هذا الأمر؟ أي مصيره وآخره، وعقباه»[3].

2 ـ التَّغيير والخثور: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «قال الخليل: آل اللَّبَنُ يؤُولُ أَوْلاً وأُوُولاً خَثَرَ»[4].

وقال الرَّاغب: «وآل اللَّبنُ يُؤُولُ إذا خثر، كأنَّه رُجوع إلى نقصان؛ لقولهم في الشَّيء النَّاقص راجع»[5].

(2) «المفردات» (ص30).
(3) «الصَّاحبي» (ص192).
(4) «معجم مقايس اللُّغة» (1/107).
(5) «المُفرَدات» (ص30).

3 ـ التَّفسير: قال الطَّبري رحمه الله: «وأمَّا معنى التَّأويل في كلام العرب فإنَّه التَّفسير والمرجع والمصير»[6].

وقال ابن منظور رحمه الله: «وقال اللَّيثُ: التَّأوُّل والتَّأويل تفسيرُ الكلام الَّذي تختلفُ معانيه، ولا يصحُّ إلاَّ ببيان غير لفظه...»[7].

فمعاني التَّأويل في اللُّغة ترجعُ إلى معنَيَيْن رئيسَيْن:

أحدهما: العاقبةُ والمرجع والمصير، الثَّاني: التَّفسير والبيان.

ثانيًا. التَّأويل اصطلاحًا:

اختلف في معنى التَّأويل بين السَّلف والمُتأخِّرين.

أ ـ التَّأويل في اصطلاح السَّلف: ويُطلَق على معنَيَيْن وهما:

تفسير اللَّفظ وبيان معناه، أو الحقيقة الَّتي يؤول إليها الكلام، وهما اللَّذان سار عليهما مُتقدِّمو الأمَّة من الفقهاء والمُفسِّرين واللُّغويِّين، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأمَّا التَّأويل في لفظ السَّلف فله معنيان: أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، سواءٌ وافَق ظاهرَه أو خالفه، فيكون التَّأويل والتَّفسير عند هؤلاء متقاربًا أو مُترادفًا... والمعنى الثَّاني: في لفظ السَّلف... هو نفسُ المراد بالكلام؛ فإنَّ الكلامَ إن كان طَلَبًا كان تأويلُه نفسَ الفعل المطلوب، وإن كان خبرًا كان تأويلُه نفسَ الشَّيء المُخبَر به»[8].

ب ـ التَّأويل في اصطلاح المتأخِّرين، وممَّا عُرِفَ به:

1 ـ «صرفُ اللَّفظ عن الاحتمال الرَّاجح إلى الاحتمال المرجوح لدليلٍ يقتَرِنُ بذلك»[9].

2 ـ «حملُ اللَّفظ على غير مدلوله الظَّاهر منه، مع احتماله له»[10].

فمعنى التَّأويل عند المُتأخِّرين هو: «صرفُ اللَّفظ عن ظاهره، وحقيقته إلى مجازه، وما يخالف ظاهرَه، وهو مرادُ المعتزلة والجهميَّة وغيرهم من فِرَق المُتكلِّمين، وهو الشَّائع في عرف المُتأخِّرين من أهل الأصول والفقه»[11].

❊ أقسام التَّأويل:

التَّأويل ليس مذمومًا على الإطلاق، فمنه الباطل المردود، ومنه الصَّحيح المقبول، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ويجوزُ باتِّفاق المسلمين أن تُفَسَّرَ إحدى الآيتين بظاهر الأخرى ويُصرَف الكلام عن ظاهره؛ إذ لا محذورَ في ذلك عند أحد من أهل السُّنَّة، وإن سُمِّيَ تأويلاً وصرفًا عن الظَّاهر، فذلك لدلالة القرآن عليه، ولموافقة السُّنَّة والسَّلف عليه؛ لأنَّه تفسيرٌ للقرآن بالقرآن، ليس تفسيرًا له بالرَّأي، والمحذور إنَّما هو صرفُ القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله والسَّابقين»[12]، وقال الشَّيخ الشَّنقيطي رحمه الله: «فهذا النَّوع من صرفِ اللَّفظ عن ظاهره المُتبادر منه لدليلٍ واضحٍ يجب الرُّجوع إليه من كتاب أو سنَّة، وهذا التَّأويل يُسمَّى تأويلاً صحيحًا وتأويلاً قريبًا، ولا مانع منه إذا دلَّ عليه النَّصُّ»[13].

والعلماء رحمهم الله جعلوا التَّأويل نوعين:

النَّوع الأوَّل: التَّأويل الفاسد الباطل المردود، و«هذا التَّأويل المذموم الباطل هو تأويلُ أهل التَّحريف والبدع، والَّذين يتأوَّلونَه على غير تأويله، ويدَّعُون صرفَ اللَّفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يُوجبُ ذلك»[14].

النَّوع الثَّاني: التَّأويل الصَّحيح المقبول: «فالتَّأويل الَّذي يوافق ما دلَّت عليه النُّصوص وجاءت به السُّنَّة ويطابقها هو التَّأويل الصَّحيح»[15].

وقيَّدُوا النَّوع الثَّاني عن الأوَّل بشروط وضوابطَ، فإذا وُجِدَت هذه الشُّروطُ صار التَّأويلُ صحيحًا مقبولاً، وإذا اختلَّ منها شرطٌ صار فاسدًا مردودًا.

❊ شروط التَّأويل الصَّحيح:

ذكر العلماء للتَّأويل الصَّحيح شروطًا، وهي:

أوَّلاً: قبول اللَّفظ للتَّأويل واحتماله للمعنى الَّذي صُرِفَ إليه لغةً أو عرفًا أو شرعًا.

قال الآمدي رحمه الله: «أن يكونَ اللَّفظُ قابلاً للتَّأويل بأن يكونَ اللَّفظ ظاهرًا فيما صُرِفَ عنه مُحتملاً لما صُرِفَ إليه»[16]، وقال الشَّوكاني رحمه الله في هذه الشُّروط: «أن يكون مُوافقًا لوضع اللُّغة، أو عرف الاستعمال، أو عادة صاحب الشَّرع، وكلُّ تأويلٍ خرج عن هذا فليس بصحيح»[17].

ثانيًا: أن يَدُلَّ تركيبُ الكلام والسِّياق على ذلك التَّأويل ويحتمله، قال ابن القيِّم رحمه الله: «فإنَّ اللَّفظَ قد لا يحتَمِلُ

(6) «جامع البيان» (184/3).
(7) «لسان العرب» (33/11).
(8) «مجموع الفتاوى» (289/13).
(9) انظر: «إرشاد الفحول» الشَّوكاني (32/2)، و«أضواء البيان» (329/1).
(10) «الإحكام» للآمدي (53/1).
(11) «الصَّواعق المرسلة» (79/1).
(12) «مجموع الفتاوى» (21/6).
(13) «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصِّفات» (ص108).
(14) «مجموع الفتاوى» (67/3).
(15) «الصَّواعق المرسلة» ابن القيِّم (187/1).
(16) «الإحكام» (54/3).
(17) «إرشاد الفحول» (34/2).

ذلك المعنى لغةً، وإن احتمله فقد لا يحتمله في ذلك التَّركيب الخاصّ، وكثيرٌ من المتأوِّلين لا يبالي إذا تهيَّأ له حملُ اللَّفظ على ذلك المعنى بأيِّ طريق أمكنه أن يدَّعيَ حملَه عليه... وأنت إذا تأمَّلت تأويلاتهم رأيتَ كثيرًا منها لا يحتمله اللَّفظُ في اللُّغة الَّتي وقع بها التَّخاطُب، وإذا احتمله لم يحتمله في ذلك التَّركيب الَّذي تأوَّلَه»[18].

ثالثًا: أن يقوم الدَّليل ـ من الكتاب أو السُّنَّة أو الإجماع أو القرينة ـ على أنَّ المرادَ بذلك اللَّفظ هو المعنى الَّذي حُمِلَ عليه إذا كان لا يُستَعمَلُ كثيرًا فيه[19]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمتأوِّل عليه وظيفتان: بيان احتمال اللَّفظ للمعنى الَّذي ادَّعاه، وبيان الدَّليل المُوجب للصَّرف إليه عن المعنى الظَّاهر»[20]، وقال ابن القيِّم رحمه الله: «فمَنْ عَرَفَ مرادَ المُتكلِّم بدليل من الأدلَّة وجب اتِّباع مُراده، والألفاظ لم تُقصَدْ لذواتها وإنَّما هي أدلَّةٌ يُستدَلُّ بها على مراد المُتكلِّم، فإذا ظهر مُرادُه، ووضع بأيِّ طريق كان عُمِلَ بمقتضاه»[21].

رابعًا: سلامةُ دليل التَّأويل من المُعارِض المُقاوِم، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إنَّه لابُدَّ من أن يسلم ذلك الدَّليلُ الصَّارفُ عن معارض، وإلاَّ فإذا قام دليلٌ قرآنيٌّ أو إيمانيٌّ يُبيِّنُ أنَّ الحقيقةَ مُرادَةٌ امتنع تركُها، ثمَّ إن كان هذا الدَّليلُ نصًّا قاطعًا لم يلتفت إلى نقيضه، وإن كان ظاهرًا فلا بدَّ من التَّرجيح»[22].

فإذا تحقَّقت هذه الضَّوابط والشُّروط ساغ التَّأويل، وصار المنهج التَّأويلي محمودًا وعُدَّ منهجًا شرعيًّا سليمًا، أمَّا إذا فقد أحدَ هذه الشُّروط والضَّوابط أو جُلَّها ـ وهو الحال الغالب عند المُؤوِّلة ـ؛ فإنَّ هذا من قبيل التَّأويل الفاسد، والمنهج التَّأويلي المردود.

ومن المهمِّ ـ أيضًا ـ أن يُعلَمَ أنَّ الخلافَ ليس قاصرًا على توفُّر هذه الشُّروط من عدمه، وإنَّما في التَّعامل ومدى اعتبار هذه الشُّروط، فمن ذلك أنَّ أهلَ السُّنَّة والجماعة يقولون إنَّ ألفاظَ آيات الأسماء والصِّفات غيرُ قابلة للتَّأويل، ولا يجوزُ أن تُحمَلَ على غير ظاهرها، كما قال الشَّيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الواجب في نصوص القرآن والسُّنَّة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف لا سيَّما نصوصُ الصِّفات حيثُ لا مجالَ للرَّأي فيها»[23].

وقال الشَّيخ الشِّنقيطي رحمه الله: «والتَّحقيق الَّذي لا شكَّ فيه، وهو الَّذي كان عليه أصحابُ رسول الله ﷺ، وعامَّةُ علماء المسلمين أنَّه لا يجوز العدولُ عن ظاهر كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ في حال من الأحوال بوجه من الوجوه، حتَّى يقومَ دليلٌ صحيحٌ شرعيٌّ صارفٌ عن الظَّاهر إلى المُحتَمَل المرجوح»[24].

بينما جميعُ أهل التَّأويل من أصحاب فرق أهل القبلة يقولون بوجوب صرف جميع الألفاظ الَّتي تَحتَمِل التَّشبيه ـ حسب ظنِّهم ـ، كما قال الفخر الرَّازي رحمه الله: «إنَّ آيات التَّشبيه كثيرةٌ لكنَّها لمَّا كانَتْ مُعارَضَةً بالدَّلائل العقليَّة لا جرَمَ

---

(18) «الصَّواعق المرسلة» (1/279).
(19) المصدر السَّابق (2/34).
(20) «مجموع الفتاوى» (13/218).
(21) «إعلام المُوقِّعين» (1/218).
(22) «مجموع الفتاوى» (6/360 ـ 361).

(23) «القواعد المُثلَى» (ص33).
(24) «أضواء البيان» (7/428).

أوجَبْنَا صرْفَها عن ظواهرها، وأيضًا فعند حصول التَّعارض بين ظواهر النَّقل، وقواطع العقل لا يُمكنُ تصديقُهُمَا معًا، وإلاَّ لزِمَ تصديقُ النَّقيضَيْن، ولا تَرجيحُ النَّقل على القواطع العقليَّة؛ لأنَّ النَّقل لا يمكنُ التَّصديقُ به إلاَّ بالدَّلائل العقليَّة، فترجيحُ النَّقل على العقل يقتضي الطَّعنَ في العقل والنَّقل معًا، وإنَّه محالٌ، فلم يَبْقَ إلاَّ القسم الرَّابع، وهو القطع بمُقتَضَيَات الدَّلائل العقليَّة القطعيَّة، وحملُ الظَّواهر النَّقليَّة على التَّأويل؛ فثبت بهذا أنَّ الدَّلائل النَّقليَّة يتوقَّف الحكمُ بمقتضاها على عدم المعارض العقلي»[25].

❊ آثار التَّأويل الفاسد:

إنَّ المُتتبِّعَ للمنهج التَّأويلي لنصوص الكتاب والسُّنَّة يقف على جملةٍ من الحقائق؛ منها:

أ ـ عدم انضباط التَّأويل بضوابط وقواعد واضحة: فكلُّ واحد يرسُمُ لنفسه نهجًا يسير عليه في تأويلاته، فالمعتزلة يؤوِّلون وَفق مذهبهم العقدي، والأشاعرة كذلك، والشِّيعة بالَغُوا في تأويلاتهم؛ لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا لَمَّا لم يكن لهم قانونٌ قويمٌ وصراطٌ مستقيمٌ في النُّصوص، لم يُوجَدْ أحدٌ منهم يمكنُه التَّفريقُ بين النُّصوص الَّتي تحتاج إلى تأويل، والَّتي لا تحتاج إليه، إلاَّ بما يرجع إلى نفس المُتأوِّل المستَمع للخطاب، لا بما يرجع إلى نفس المُتكلِّم بالخطاب»[26].

وهذا الاضطراب والاختلاف ليس قاصرًا على آيات وأحاديث العقيدة بل عامٌّ في جميع نصوص الكتاب والسُّنَّة، كما قال ابن القيِّم رحمه الله: «وحقيقة الأمر أنَّ كلَّ طائفة تتأوَّل ما يخالف نحلَتَها ومَذهبَها، فالعيار على ما يُتأوَّلُ وما لا يُتأوَّل هو المذهب الَّذي ذهبت إليه، والقواعد الَّتي أصَّلتْها، فما وافقَها أقرُّوه ولم يتأَوَّلوه، وما خالفها فإنْ أمكَنَهم دفعُه وإلاَّ تأوَّلوه، ولهذا لَمَّا أصَّلت الرَّافضةُ عداوةَ الصَّحابة ردُّوا كلَّ ما جاء في فضائلهم والثَّناء عليهم أو تأوَّلوه، ولَمَّا أصَّلت الجهميَّة أنَّ الله لا يتكلَّم ولا يُكلِّمُ أحدًا، ولا يُرَى بالأبصار، ولا هو فوق عرشه مُبائنٌ لخلقه، ولا له صفةٌ تقوم به، أوَّلُوا كلَّ ما خالف ما أصَّلوه، ولَمَّا أصَّلَت القدريَّةُ أنَّ اللهَ سبحانه لم يخلُقْ أفعالَ عباده، ولم يُقدِّرْها عليهم أوَّلُوا كلَّ ما خالفَ أصولَهم، ولَمَّا أصَّلت المعتزلةُ القولَ بنفوذ الوعيد، وأنَّ مَنْ دخلَ النَّارَ لم يَخْرُجْ منها أبدًا، أوَّلُوا كلَّ ما خالف أصولَهم، ولَمَّا أصَّلت المرجئةُ أنَّ الإيمانَ هو المعرفةُ، وأنَّها لا تَزيدُ ولا تَنْقُص، أوَّلُوا ما خالف أصولَهم، ولَمَّا أصَّلت الكُلاَّبيَّةُ أنَّ اللهَ سبحانه لا يقوم به ما يتعَلَّقُ بقدرَته ومشيئته، وسمَّوْا ذلك حلولَ الحوادث، أوَّلُوا كلَّ ما خالفَ هذا الأصل، ولَمَّا أصَّلت الجبريَّةُ أنَّ قُدرَةَ العبد لا تأثيرَ لها في الفعل بوجه من الوجوه، وأنَّ حركات العباد بمنزلة هبوب الرِّياح وحركات الأشجار، أوَّلُوا كلَّ ما جاء بخلاف ذلك، فهذا في الحقيقة هو عيارُ التَّأويل عند الفِرَق كُلِّها»[27].

ب ـ إثارة الفتن وإفساد الدِّين وتفريق الأمَّة: قال ابن القيِّم رحمه الله: «في جنايات التَّأويل على أديان الرُّسل وأنَّ خرابَ العالم وفسادَ الدُّنيا والدِّين بسبب فتح باب التَّأويل: إذا تأمَّلَ المُتأمِّلُ فسادَ العالم، وما وقع فيه من التَّفرُّق والاختلاف، وما دُفِعَ إليه أهلُ الإسلام؛ وجدَه ناشئًا من جهة التَّأويلات المختلفة المُستَعمَلة في آيات القرآن وأخبار الرَّسول الَّتي تعلَّقَ بها المُختلفون على اختلاف أصنافهم في أصول الدِّين وفروعه؛ فإنَّها أوجَبَتْ ما أوجبت من التَّباين والتَّحارب وتفرُّق الكلمة وتَشتُّت الأهواء وتَصدُّع الشَّمل وانقطاع الحبل وفساد ذات البين؛ حتَّى صارَ يُكفِّرُ ويلعَنُ بعضُهم بعضًا، وترى طوائفَ منهم تَسفكُ دماءَ الآخرين، وتستحلُّ منهم أنفسَهم وحرَمَهم وأموالَهم ما هو أعظمُ ممَّا يرصُدُهم به أهلُ دار الحرب من المُنابذينَ لهم، فالآفات الَّتي جنتها، ويجنيها كلَّ وقت أصحابُها على الملَّة والأمَّة من التَّأويلات الفاسدة أكثرُ من أن تُحصَى أو يَبلُغَها وصفُ واصف، أو يحيط بها ذكرُ ذاكر، ولكنَّها في جملة القول أصلُ كلِّ فساد وفتنة وأساسُ كلِّ ضلال وبدعة، والمُولِّدةُ لكلِّ اختلاف وفُرقة، والنَّاتجةُ أسبابَ كلِّ تباين وعداوة وبغضة، ومن عظيم آفاتها ومصيبة الأمَّة بها أنَّ الأهواءَ المُضلَّةَ والآراء المُهلكة الَّتي تتولَّد من قبلها لا تزال تنمو وتتزايد على ممرِّ الأيَّام وتعاقب الأزمنة»[28].

---

(25) «المطالب العالية» (ص309 ـ 310).

(26) «درء تعارض العقل والنَّقل» (5/240).

(27) «الصَّواعق المرسلة» لابن القيِّم (1/230 ـ 232).

(28) «الصَّواعق المرسلة» (1/348 ـ 349).

وقال ابن أبي العزِّ الحنفي رحمه الله: «وكم جنى التَّأويل الفاسد على الدِّين وأهله من جناية، فهل قُتل عثمانُ رضي الله عنه إلاَّ بالتَّأويل الفاسد؟ وكذا ما جرى في يوم الجمل، وصفِّين، ومقتل الحُسَيْن، والحَرَّة؟ وهل خرجت الخوارجُ، واعتزلت المعتزلةُ، ورَفَضَت الرَّوافضُ، وافترقت الأمَّة على ثلاث وسبعين فرقة، إلاَّ بالتَّأويل الفاسد؟!»[29].

ج- فتح باب الخوض والاختلاف في آيات وأحاديث الاعتقاد، فصارت الآيات والأحاديث محلَّ اختلاف ونزاع كبير بين المؤوِّلة، ممَّا أدخل الشَّكَّ والحَيرةَ عند العامَّة وبعض المتعلمين، وقد صارت العقيدة تؤخَذُ من أقوال الرِّجال بدَلَ أن تُؤخَذَ من آيات القرآن وأحاديث النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ أهل التَّأويل الفاسد قد أعمَلُوا مَعاولَ الهدم لدلالات القرآن والسُّنَّة، وجعلوها من قبيل المتشابه، وأقوالهم من قبيل المُحكَم الَّذي ينبغي الرُّجوع إليه.

حتَّى صارَ المُتأخِّرُ يرى أنَّ عقيدتَه أصحُّ من عقيدة المُتقدِّمين من أصحاب النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وأتباعهم، ومن جاء بعدهم من أئمَّة الهدى، قال الشَّنقيطي: «وَمِنْ هذا النَّوْع صرفُ آيَات الصِّفات عن ظواهرها إلى مُحتَمَلاتٍ ما أنزل الله بها من سلطان، كقولهم: «اسْتَوَى» بمعنى استولى، فهذا لا يدخل في اسم التَّأْويل؛ لأنَّه لا يدلُّ عليه البَتَّةَ، وإنَّما يُسمَّى في اصطلاح أهل الأصول لعبًا؛ لأنَّه تلاعبٌ بكتاب الله جلَّ وعلا من غير دليل ولا مُستَنَد، فهذا النَّوع لا يجوز لأنَّه تهجُّمٌ على كَلاَمِ ربِّ العَالمين»[30].

د- يتضمَّن التَّعطيل والتَّشبيه والتَّحريف لنصوص الشَّريعة، كما قال ابن أبي العزِّ الحنفي رحمه الله: «فإنَّه قد صار اصطلاحُ المُتأخِّرين في معنى التَّأويل أنَّه صرفُ اللَّفظ عن ظاهره، وبهذا تسلَّطَ المُحرِّفون على النُّصوص وقالوا: نحنُ نتأوَّل ما يُخالفُ قولَنا فسمَّوُا التَّحريفَ تأويلاً، تزيينًا له وزخرفةً ليُقبَلَ»[31]، وقال ابن القيِّم رحمه الله: «فصل في بيان أنَّ التَّأويل شرٌّ من التَّعطيل: فإنَّه يتضمَّن التَّشبيه والتَّعطيلَ والتَّلاعُبَ بالنُّصوص وإساءةَ الظَّنِّ بها: فإنَّ المُعطِّلَ والمُؤوِّلَ قد اشتركا في نفي حقائق الأسماء والصِّفات، وامتازَ المُؤوِّلُ بتلاعُبه بالنُّصوص وإساءة الظَّنِّ بها، ونسبة قائلها إلى التَّكلُّم بما ظاهرهُ الضَّلال والإضلال»[32].

هـ- قلَّةُ تعظيم المُؤوِّلة لنصوص الكتاب والسُّنَّة: قال ابن القيِّم رحمه الله: «المحذور الرَّابع: تلاعبُهم بالنُّصوص وانتهاكُ حرُماتها، فلو رأيتَها وهم يلوكُونَها بأفواههم، وقد حلَّت بها المَثُلاتُ وتلاعَبَتْ بها أمواجُ التَّأويلات، وتقاذَفَتْ بها رياحُ الآراء، واحتوشتها رماحُ الأهواء، ونادى عليها أهلُ التَّأويل في سوق مَنْ يَزيدُ، فبذل كلُّ واحد في ثمنها من التَّأويلات ما يريد، فلو شاهدتَّها بينهم وقد تخطَّفَتْها أيدي الاحتمالات، ثمَّ قُيِّدَتْ بعدما كانت مُطلَقَةً بأنواع الإشكالات، وعُزِلَتْ عن سلطنة اليقين وجُعلَت تحت حكم تأويل الجاهلين»[33].

❊ موقف السَّلف من التَّأويل الفاسد:

من المعلوم بالضَّرورة لكُلِّ عاقل ومُنصف أنَّ منهجَ السَّلف أسلَمُ وأعلَمُ وأحكَمُ، «وأنَّهم أفضلُ من الخلف في كلِّ فضيلة: من علم، وعمل، وإيمان، وعقل، ودين، وبيان، وعبادة، وأنَّهم أَوْلَى بالبيان لكلِّ مُشكل، هذا لا يدفَعُه إلاَّ مَنْ كابر المعلومَ بالضَّرورة من دين الإسلام، وأضلَّه الله على علم»[34]، ولم يُنقَلْ عنهم شيءٌ من التَّأويل الَّذي شاعَ عند المُتأخِّرين، فلو كان مُسَوَّغًا أو محتُومًا لأوْشَكَ أن يكون اهتمامُهم فوقَ اهتمام المُتأخِّرين؛ لأنَّهم أعرفُ النَّاس بشرع الله تعالى، فانقضى عصرُهم ولم يُعلَمْ بوجود التَّأويل بينهم، وكلام علماء السُّنَّة وغيرهم حتَّى من المُؤوِّلة شاهدٌ على ذلك.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إنَّ جميعَ ما في القرآن من آيات الصِّفات، فليس عن الصَّحابة اختلافٌ في تأويلها، وقد طالعت التَّفاسير المنقولةَ عن الصَّحابة، وما رَوَوْهُ من الحديث، ووَقَفْتُ على ذلك ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصِّغار أكثرَ من مائة تفسير فلم أجدْ - إلى ساعتي هذه - عن أحد من الصَّحابة أنَّه تأوَّلَ شيئًا من آيات الصِّفات، أو أحاديث الصِّفات بخلاف مُقتضَاها المفهوم المعروف، بل ثبت عنهم من تقرير ذلك وتثبيته، وبيان أنَّ ذلك من صفات الله ما يُخالفُ كلامَ المُتأوِّلين ما لا يحصيه إلاَّ الله»[35].

- قال ابن القيِّم رحمه الله في موقف السَّلف من نصوص الشَّرع: «وقد تنازع الصَّحابة في كثير من مسائل الأحكام،

(29) «شرح العقيدة الطَّحاويَّة» (ص154).
(30) «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصِّفات» (ص109).
(31) «شرح العقيدة الطَّحاويَّة» (ص182).
(32) «مختصر الصَّواعق المرسلة» (ص49).
(33) «الصَّواعق المرسلة» (298/1).
(34) «مجموع الفتاوى» (157/4 ـ 158).
(35) المصدر نفسه (394/6).

وهم ساداتُ المؤمنين وأكملُ الأمَّة إيمانًا؛ ولكـن ـ بحمد الله ـ لم يتنازعوا في مسألة واحـدة مـن مسائل الأسمـاء والصِّفات والأفعـال؛ بـل كلُّهم على إثبـات ما نَطَقَ الكتـابُ والسُّنَّةُ، كلمةً واحـدةً من أوَّلهم إلى آخرهـم لم يُسَمُّوهَـا تأويـلاً، ولم يُحرِّفُوهـا عـن مواضعهـا تبديـلاً، ولم يُبْـدُوا لشـيءٍ منهـا إبطـالاً، ولا ضَربوا لهـا أمثـالاً... ولم يَقُلْ أحـدٌ منهم يجب صرفُهـا عـن حقائقهـا، وحملهـا علـى مجازهـا، بل تلقَّوْها بالقبـول والتَّسليم، وقابلوهـا بالإيمـان والتَّعظيـم، وجعلوا الأمـرَ فيها كلَّها أمـرًا واحـدًا وأَجْرَوْهَا علـى سَنَنٍ واحـدة، ولم يفعلـوا كما فعل أهـلُ الأهـواء والبِـدع حيث جعلوهـا عِضِين، وأقَرُّوا ببعضها، وأنكروا بعضَها من غير فرق مبين»[36].

ـ قال ابن قدامة رحمه الله: «وأمَّا الإجماع؛ فإنَّ الصَّحابةَ رضي الله عنهم أجمعوا على ترك التَّأويل بما ذكرنا عنهم، وكذلك أهلُ كلِّ عصر بعدهم»[37].

وقال أيضًا: «وعلى هذا درج السَّلفُ والخلـف رضي الله عنهم متَّفقُـون علـى الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصِّفات في كتاب الله وسنَّة رسولـه من غير تَعَرُّضٍ لتأويلـه وقـد أُمِرْنَـا بالاقتفـاء لآثارهم والاهتـداء بمنارهم، وحُذِّرْنَـا المُحدَثاتِ وأُخبِرْنَا أنَّها ضلالات»[38].

حتَّـى إنَّ كبار الأشاعـرة والمتكلِّمين اعترفـوا ونقلوا بـأنَّ التَّأويـل الفاسد لم يكن طريقة السَّلف:

ـ قـال أبـو المعـالي الجوينـي رحمه الله: «وقـد درج صحبُ النَّبـيِّ صلى الله عليه وسلم على ترك التَّعرُّضِ لمعانيها، ودَرْكِ مـا فيها، وهم صفـوةُ الإسـلام والمُستَقِلُّون بأعبـاء الشَّريعة، وكانوا لا يألُونَ جُهدًا في ضبط قواعد الملَّـة، والتَّواصي بحفظها، وتعليم النَّـاس ما يحتاجون إليـه منها، فلو كانَ تأويـلُ هـذه الآي والظَّواهـر مُسَوَّغًـا أو مَحتُومًـا لأَوْشَكَ أن يكون اهتمامُهم فوقَ اهتمامهم بفـروع الشَّريعة، وإذا تصرَّم عصرهم وعصرُ التَّابعين على الإضراب عن التَّأويل، كان ذلك قاطِعًا بأنَّه الوجه المُتَّبَع بحقٍّ»[39].

ـ وقـال أبو حامد الغـزالي رحمه الله: «إنَّ الصَّحابـةَ في طـول أعصارهم إلى آخر أعمارهم ما دَعَوُا الخلقَ إلى التَّأويل، ولو كان من الدِّيـن لأقبلوا عليه ليلاً ونهارًا، ودَعَوْا أولادهم وأهلهم إليه»[40].

فالنَّصيحة في هذا الباب وغيره من أبواب العلم ما قاله الإمام الآجري رحمه الله: «علامةُ مَنْ أراد الله عزَّ وجلَّ به خيرًا سلوكُ هـذه الطَّريـق، كتـاب الله عزَّ وجلَّ وسُـنن رسولِـه صلى الله عليه وسلم، وسـنن أصحابـه رضي الله عنهم ومـن تبِعَهـم بإحسان رحمـة الله تعالى عليهـم، وما كان عليه أئمَّـةُ المسلمين في كلِّ بلد، إلى آخر ما كان من العلماء؛ مثل الأوزاعي وسفيان الثَّوري ومالك بن أنس والشَّافعي وأحمد بن حنبل والقاسم ابن سـلَّام، ومَـنْ كان على مثـل طريقتهم، ومجانبـة كلِّ مذهبٍ لا يذهب إليه هؤلاء العلماء»[41].

وصلَّـى الله وسلَّم علـى نبيِّنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

❋ ❋ ❋

(36) «إعلام المُوقِّعين» (1/49).
(37) «ذمُّ التَّأويل»، (ص38).
(38) «لمعة الاعتقاد» (ص4).
(39) «العقيـدة النِّظاميَّـة في الأركان الإسلاميَّـة» (ص23 ـ 24).
(40) «إلجام العوامِّ عن علم الكلام» (ص24 ـ 25).
(41) «الشَّريعة» (1/301)



حكم نقض الوتر في رمضان وغيره

د. صالح رمضه
المدينة النَّبويَّة

الحمدُ لله الَّذي فضَّلَ شهرَ رمضانَ على سائر الشُّهور، وجعله شهرًا مباركًا؛ شهرَ الصِّيام والقيام والرَّحمة والغُفران، فيه أَنزَلَ القرآنَ بالحجج والبيِّنات، وفيه ليلةُ القدر هي أفضلُ الأوقات، وفيه تُرفَعُ الدَّرجاتُ، وتُضَاعَفُ الحسناتُ، وتُكفَّرُ السَّيِّئاتُ، وفيه يُقبِلُ المسلمون على فعل الخيرات، والإكثارِ من الطَّاعاتِ، وإقامةِ الصَّلوَاتِ، وقيام رمضان أفرادًا وجماعاتٍ.

وبهذه المناسبة؛ أَحْبَبْتُ أن أَتَكَلَّمَ عن مسألة مُتعلِّقة بالتَّراويح وقيامِ اللَّيل، قد اختلف فيها الصَّحابةُ والتَّابعون والفقهاءُ المجتهدون قديمًا وحديثًا وهي مسألةُ نقضِ الوترِ، وصورتُها أن يُوتِرَ الرَّجلُ أوَّلَ اللَّيلِ، ثمَّ يَنامَ، ثمَّ يقومَ يُصلِّي من اللَّيل، فهل يَنقُضُ وترَه بأن يُصلِّيَ ركعةً إلى وتره، ثمَّ يُصلِّي ما بدا له مَثْنَى مَثْنَى، ثمَّ يُوتِرُ في آخر صَلاته، أم أنَّه لا يَنقُضُ وِترَه، وإذا قام صلَّى شفعًا مثنى مثنى ولا يعيدُ الوترَ؟

❊ الخلاف في ذلك على قولين مشهورين:

القول الأوَّل: لا ينقضُ وترَه، ويُصلِّي شفعًا، رُوِيَ ذلك عن أبي بكر الصِّدِّيق، وابنِ عبَّاس في المشهور عنه، وأبي هريرة، وعمَّار بنِ ياسر، وعائذِ بنِ عمرو، ورافعِ بنِ خديجٍ، وطلقِ بن

عليٍّ، وعائشة رضي الله عنهم[1]، وعطاء، والشَّعبي، وعلقمةَ بن وقَّاص، ومكحول، وطاوس، والنَّخعي، وأبي مِجلَز، والحسن البصري، والأوزاعي، والثَّوري، وابن المبارك[2]، وهو مذهب أبي حنيفة[3]، ومالك[4]، والشَّافعي[5]، وأحمدَ في الصَّحيح من المذهب[6]، وهو قول أكثر علماء العصر.

القول الثاني: ينقُضُ وِترَه، فيُشَفِّعُه بركعة، رُوِيَ ذلك عن ابن عمر، وعثمان، وعليِّ بن أبي طالب، وابن مسعود، وسعد بن أبي وقَّاص، وأسامة بن زيد، وابن عبَّاس ـ في رواية أخرى ـ رضي الله عنهم[7]، وعمرو بنِ ميمون، وابن سيرين[8]، وبه قال أحمد في رواية أخرى عنه[9]، وإسحاق[10]، ووجه عند الشَّافعيَّة[11]، وقال به بعضُ فقهاء العصر.

❋ أدلَّة القولَيْن:

◻ أدلَّة أصحاب القول الأوَّل:

احتجَّ مَنْ منع نقضَ الوتر بالسُّنَّة والآثار عن الصَّحابة رضي الله عنهم والمعقول:

أوَّلًا. الدَّليل من السُّنَّة:

1 ـ عن قَيْس بن طَلْق، قال: زارنا طلقُ بنُ علي رضي الله عنه في يوم من رمضان، وأمسى عندنا وأفطرَ، ثمَّ قام بنا تلك اللَّيلةَ وأوْتَرَ بنا، ثمَّ انْحدَرَ إلى مسجده، فصلَّى بأصحابه حتَّى إذا بَقيَ الوترُ، قدَّم رجلاً، فقال: أَوْتِرْ بأصحابك؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا وِتْرَانِ في لَيْلَةٍ»[12].

وجهُ الدَّلالة: دلَّ الحديثُ على أنَّ مَنْ أَوْتَرَ، ثمَّ أرادَ أنْ يُصَلِّيَ؛ فإنَّه لا يُشَفِّعُ وترَه بل يُصلِّي شَفعًا ما شاء، وذلك من وجهين:

أحدهما: نهى النَّبيُّ ﷺ عن وِتْرَيْن في ليلة، ومَنْ نَقَضَ الوترَ فقد أَوْتَرَ ثلاثَ مرَّاتٍ، فيكُونُ مَنْهِيًّا عنه[13].

الثَّاني: أنَّ رَاويَ الحديث أَعْلمُ بما روى، فقد صلَّى طَلْقُ ابن علي رضي الله عنه بهم شفعًا، ولم يكن ذلك ناقضًا لوِتره، وامتنع من إعادة الوتر، فقدَّم رجلاً يُوترُ بهم، مُحتَجًّا عليهم بما سمعه من النَّبيِّ ﷺ.

2 ـ عن أمِّ سلمة رضي الله عنها: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُصلِّي بعدَ الوتر رَكعَتَيْنِ» وفي رواية بزيادة: «وَهُوَ جَالِسٌ»[14].

وجه الدَّلالة: في الحديث دلالةٌ على عدم نقض الوتر؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ صلَّى الوترَ، ثمَّ صلَّى بعدَهُ رَكعَتَيْنِ تَطَوُّعًا، ولم يَكُنْ ذلك ناقضًا لوتره المُتقدِّم[15].

قال مجدُ الدِّين ابن تيميَّة عن حديث أمِّ سلمة رضي الله عنها: «وهو حجَّةٌ لمن لم يَرَ نَقْضَ الوتر»[16].

3 ـ عن ابن المُسيِّب: أنَّ أبا بكر وعمرَ رضي الله عنهما تذاكَرَا الوِترَ عند رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أمَّا أَنا فأُصَلِّي، ثمَّ أَنَامُ على وِتْر، فإذا اسْتَيْقَظْتُ صلَّيْتُ شفعًا حتَّى الصَّباح، فقال عمر رضي الله عنه: لكنِّي أَنَامُ على شَفْع، ثمَّ أُوتِرُ من آخِرِ السَّحَرِ، فقال رسولُ الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «حَذِرَ هَذَا»،

(1) انظر: «مُصنَّف عبد الرَّزَّاق» (3/30 ـ 31)، «مصنَّف ابن أبي شيبة» (2/83)، «الأوسط» (5/199، 172)، «شرح معاني الآثار» (1/341 ـ 343)، «الاستذكار» (5/279)، «المغني» (2/598)، «فتح الباري» لابن رجب (5/256)، «نيل الأوطار» (3/45).

(2) انظر: «مصنَّف عبد الرَّزَّاق» (3/30 ـ 31)، «مُصنَّف ابن أبي شيبة» (2/83 ـ 84)، «الأوسط» (5/189 ـ 200)، «فتح الباري» لابن رجب (5/256).

(3) انظر: «شرح معاني الآثار» (1/344)، «فتح القدير» (1/382)، «رد المحتار على الدُّر المختَار» (2/28).

(4) انظر: «موطَّأ مالك» (1/184)، «شرح التَّلقين» (2/779)، «المفهم» (2/385).

(5) وهو الصَّحيح المشهور عند الشَّافعيَّة، وبه قطع جمهورهم، انظر: «الأم» (1/259)، «نهاية المطلب» (2/361)، «البيان» (2/272)، «المجموع» (3/509).

(6) انظر: «مسائل عبد الله» (2/305)، «مسائل أبي داود» (ص 65)، «المغني» (2/597)، «الإنصاف» (4/170).

(7) انظر: «مصنف عبد الرزاق» (3/29)، «مصنف ابن أبي شيبة» (2/82، 83)، «الأوسط» (5/ 196، 198)، «شرح معاني الآثار» (1/340، 341)، «الاستذكار» (5/278)، «المغني» (2/598)، «فتح الباري» لابن رجب (5/255).

(8) انظر: «مصنف عبد الرزاق» (3/30 ـ 31)، «مصنف ابن أبي شيبة» (2/82 ـ 83)، «الأوسط» (5/198).

(9) انظر: «الرِّوايتين والوجهين» (1/162)، «الإنصاف» (4/171)، «فتح الباري» لابن رجب (5/255).

(10) انظر: «مسائل الكوسج» (2/653)، «سنن الترمذي» (2/334)، «الأوسط» (5/198).

(11) انظر: «نهاية المطلب» (2/361)، «المجموع» (3/509).

(12) أخرجه أبو داود (1439)، والترمذي (470)، والنَّسائي (1679)، وأحمد (16296)، وابن أبي شيبة (6748)، والمروزي في كتاب الوتر ـ «مختصر كتاب الوتر» (52)، وابن خزيمة في «صحيحه» (1101)، وابن المنذر في «الأوسط» (2699)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (1/342)، والطَّبراني في «المعجم الكبير» (8/333، 334)، والبيهقي في «الكبرى» (3/36)، وقال الترمذي: حسن غريب، وحسنه ابن حجر في «فتح الباري» (2/558)، وصححه ابن أبي حاتم في «العلل» (554)، والألباني في «صحيح الجامع» (7567).

(13) انظر: «فتح الباري» لابن رجب (6/255)، «نيل الأوطار» (3/46).

(14) أخرجه الترمذي (471)، وابن ماجه (1195)، وأحمد (26553)، وإسحاق في «مسنده» (1345)، والطبراني في «الكبير» (23/364)، والبيهقي في «الكبرى» (3/32) من طريق ميمون بن موسى المَرَئِي، عن الحسن، عن أمِّه، عنها به. قال الترمذي: «وقد روي نحو هذا عن أبي أمامة وعائشة وغير واحد عن النبي ﷺ»؛ وحسَّنه أحمد شاكر في تعليقه على «جامع التِّرمذي». وقال البيهقي: «ميمون هذا بصرى، لا بأس به إلا أنَّه كان يدلِّس، قاله أحمد بن حنبل وغيره والله أعلم، وروي عن زكريا بن حكيم عن الحسن، وخالفَهما هشام فرواه عن الحسَن عن سَعد بن هشام عن عائشة؛ قال البخاري: وهذا أصح».

(15) انظر: «شرح معاني الآثار» (1/ 341).

(16) «المنتقى مع نيل الأوطار» (3/ 47).



وقال لعمر رضي الله عنه: «قَوِيَ هَذَا»[17].

وجه الدَّلالة: دلَّ الحديثُ على نفي إعادة الوتر؛ لقول أبي بكر رضي الله عنه حكايةً عمَّا كان يَفعَلُ، وتركُ النَّبيِّ ﷺ النَّكيرَ عليه دليلٌ على أنَّ الوترَ لا يَنقُضُه النَّوافلُ الَّتي يتَنَفَّلُ بها بعدَه[18].

ثانيًا. الدَّليل من آثار الصَّحابة رضي الله عنهم:

1. عن عطاء، قال: سمعْتُ ابنَ عبَّاس رضي الله عنهما يقول: «إذا أَوْتَرَ أوَّلَ اللَّيلِ، فلا يَشفع بركعة، وصلَّى شفعًا حتَّى يصبحَ»[19]، ولفظ ابن أبي شيبة: «مَنْ أَوْتَرَ أوَّلَ اللَّيلِ، ثمَّ قامَ، فليُصَلِّ رَكعَتَيْنِ رَكعَتَيْنِ».

وعن أبي جَمْرَةَ نصر بنِ عمران الضُّبَعي، عن ابنِ عبَّاس وعائذ بن عمرو رضي الله عنهم قالا: «إذا أَوْتَرْتَ أوَّلَ اللَّيلِ، فلا تُوترْ آخرَه، وإذا أَوْتَرْتَ آخرَه فلا تُوتِر أوَّلَه»[20].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه كان إذا نام على وتر، ثمَّ قام يُصلِّي من اللَّيل صلَّى رَكعةً إلى وترِه، فيشفع له، ثمَّ أَوْتَرَ بعدُ في آخرِ صلاتِه، قال الزُّهري: فبلغ ذلكَ ابنَ عبَّاس رضي الله عنهما فلم يُعجبْه، فقال: إنَّ ابنَ عمر رضي الله عنهما ليُوترُ في اللَّيلة ثَلاثَ مرَّات»[21].

وعن الرَّبيع، قال: «قلتُ للشَّافعي: أفتقول: يُشَفِّعُ وترَه؟ قال: لا، فقال: فما حجَّتُك فيه؟ فقلتُ: رُوِّينَا عن ابن عبَّاس أنَّه كره لابن عمر أن يُشَفِّعَ وِترَه»[22].

وعن سعيد بن جُبَيْر، وقد سألَه حَبيب بن أبي عَمْرَةَ عن الوتر، فقال: «الأكياس يُوترُون أوَّلَ اللَّيل، وذَوُو القُوَّة يُوترُون آخرَ اللَّيل»، فقلت: فكيف أنتَ؟ قال: «آخرَ اللَّيل»، قلتُ: فكيف توترُ أنتَ؟ قال: «آخرَ اللَّيل»، قلتُ: فإنَّ ناسًا يوترُونَ أوَّلَ اللَّيل، ثمَّ يقومُ أحدُهم فيُشَفِّعُ بركعة، فقال: قال ابن عباس: «ذاكَ الَّذي يَلعَبُ بوترِه»[23].

2. عن عائشة رضي الله عنها، ذُكرَ لها الرَّجلُ يُوترُ ثمَّ يَستَيْقِظ فيُشَفِّعُ بركعة، قالت: «ذلك يَلْعَبُ بوترِه»[24].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «الَّذينَ يَنقُضُونَ وِترَهم هُمُ الَّذينَ يَلعَبُونَ بصلاتِهم».

وروى سعيدُ بن جُبَيْر، قال: ذُكرَ عندَ عائشة رضي الله عنها نَقْضُ الوتر، فقالت: «لا وِتْرَانِ في ليلة»[25].

وعن إبراهيم النَّخعي: «أنَّ ابنَ عمر رضي الله عنهما كان يُوترُ من أوَّلِ اللَّيلِ، فإذا قام سَحَرًا أضافَ إلى وترِه ركعةً، فبلغ ذلك عائشةَ رضي الله عنها، فقالت: يَرحَمُ اللهُ أبا عبد الرَّحمن؛ إنَّه لَيَلْعَبُ بوترِه، ما عليه لو أَوْتَرَ أوَّلَ اللَّيل، فإذا قامَ سَحَرًا صلَّى ركعتَيْن ركعتَيْن؛ فإنَّه يُصبِحُ على وِتْر»[26].

قال عبدُ الله بن الإمام أحمد: «سألتُ أبي عن نقض الوتر؟ قال: لا يُعجِبُني، كرِهَتْه عائشةُ، وأنا أكرَهُه»[27].

3. عن عمَّار بن ياسر رضي الله عنه قال: «أمَّا أنَا فأُوترُ، فإذا قُمْتُ صَلَّيْتُ مَثْنَى مَثْنَى، وتَرَكْتُ وِتري الأوَّل كما هو»[28].

4. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لو جئتَ بثلاث أَبْعِرَة فأَنَخْتَهَا، ثمَّ جئتَ ببَعِيرَيْنِ فأَنَخْتَهُمَا، أَلَيْسَ كان يكونُ ذلك وِتْرًا؟» قال: وكان يَضربُه مَثَلًا لنَقض الوتر[29].

قال الإمام الطَّحاوي: «وهذا عندنا

(17) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (4615)، وابن المنذر في «الأوسط» (2624)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (1/342) وفي سماع سعيد بن المسيِّب من عمر رضي الله عنه خلاف.

(18) انظر: «شرح معاني الآثار» (1/342).

(19) أخرجه عبد الرزاق (4685، 4686)، وابن أبي شيبة (6737)، وابن المنذر في «الأوسط» (2693)؛ وإسناده صحيح.

(20) أخرجه ابن أبي شيبة (6734)، وابن المنذر في «الأوسط» (2694)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (1/343)، والبيهقي في «السُّنن الكبرى» (3/36) وهو صحيح.

(21) أخرجه عبد الرزاق (4682) عن معمر، عن الزُّهري، عن سالم عنه به، وهذا إسناد صحيح، لكن قول الزُّهري: فبلغ ذلك ابن عباس، فمنقطع؛ لأنَّ الزُّهري لم يسمع من ابن عبَّاس رضي الله عنهما. وذكره ابن نصر في كتاب الوتر كما في «مختصره» (ص107)، وقال الشافعي في «الأم» (1/259)، و«معرفة السُّنن والآثار» (2/326، 327): روينا عن ابن عبَّاس أنَّه: «كره لابن عمر أن يشفع وتره» ولم يُسنده.

(22) «الأم» (1/259)، و«معرفة السنن والآثار» (2/326، 327).

(23) أخرجه ابن نصر المروزي في كتاب الوتر. «مختصره» (ص106).

(24) أخرجه عبد الرزاق (4687)، وابن المنذر في «الأوسط» (2697)، والبيهقي في «الكبرى» (3/37)؛ وإسناده صحيح.

(25) أخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (1/343) وإسناده منقطع؛ فإنَّ سعيد بن جبير لم يسمع من عائشة.

(26) أخرجه أبو يوسف في «كتاب الآثار» (ص 68، 69)؛ وفي إسناده ضعف وانقطاع.

(27) «مسائل عبد الله» (2/305).

(28) أخرجه ابن أبي شيبة (6733)، وابن المنذر في «الأوسط» (2696)؛ وإسناده صحيح.

(29) أخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (1/343) بإسناد حسن.

كلامٌ صحيحٌ، ومعناه أنَّ ما صَلَّيْتَ بعدَ الوتر من الأشفاع، فهو مع الوتر الَّذي أَوْتَرْتَه وترًا»[30].

ثالثًا. الدَّليل من المعقول:

إذا أَوْتَر الرَّجلُ بركعة من أوَّل اللَّيل، وسلَّم منها فقد قضى وترَه، فإذا هو نام بعد ذلك وأحدث لعلَّة أحداثًا مُختلفةً، ثمَّ قام فاغتسلَ أو توضَّأ، وتكلَّم بين ذلك، ثمَّ صلَّى ركعةً أخرى، فهذه صلاةٌ غيرُ تلك الصَّلاة، وغير جائز في النَّظر أن تتَّصلَ هذه الرَّكعةُ بالرَّكعة الأولى الَّتي صلاَّها في أوَّل اللَّيل، فتصيران صلاةً واحدةً، وبينهما من الأحداث ما ذكرنا؛ فإنَّما هاتان صلاتان مُتباينتَان، كلُّ واحدة غيرُ الأخرى، ومَنْ فَعَلَ ذلك فقد أَوْتَر مرَّتين، ثمَّ إذا هو أَوْتَرَ أيضًا في آخرِ صلاته، صار مُوتِرًا ثلاثَ مرَّات[31].

□ أدلَّة أصحاب القول الثَّاني:

احتجَّ مَنْ رأى نقضَ الوتر بالسُّنَّة والآثار عن الصَّحابة رضي الله عنهم:

أوَّلاً: الدَّليل من السُّنَّة

ما ثبت في «الصَّحيحين» عن ابن عمر رضي الله عنهما كان يقول: «اجعلُوا آخرَ صَلاتكُمْ باللَّيلِ وِتْرًا؛ فإنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أَمَرَ به»[32].

وجه الدَّلالة: دلَّ الحديثُ على أنَّ مَنْ أَوْتَرَ، ثمَّ قام من اللَّيل ولم يُشَفِّعْ وترَه، وصلَّى رَكعَتَيْنِ رَكعَتَيْن، ثمَّ لم يُوتِرْ؛ فإنَّه لم يَجْعَلْ آخرَ صلاته باللَّيل وترًا كما أمرَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، وإنَّما جعل آخرَ صلاته شَفْعًا[33].

(30) «شرح معاني الآثار» (1/343).
(31) انظر: «مختصر كتاب الوتر» (ص 102)، «الأوسط» (5/198)، «شرح معاني الآثار» (1/343)، «نيل الأوطار» (3/46).
(32) أخرجه البخاري (472) واللَّفظ له، ومسلم (751).
(33) انظر: «نيل الأوطار» 3/ 46.

ثانيًا. الدَّليل من آثار الصَّحابة رضي الله عنهم:

1. عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: إنَّه كان إذا سُئِلَ عن الوتر؛ قال: «أمَّا أنا فلَوْ أَوْتَرْتُ قبلَ أَنْ أنامَ، ثمَّ أَرَدتُّ أن أُصلِّيَ باللَّيل شَفَّعْتُ بواحدة ما مضى من وتري، ثمَّ صَلَّيْتُ مَثْنَى مَثْنَى، فإذا قَضَيْتُ صلاتي، أَوْتَرْتُ بواحدَة؛ إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرَ أن يُجْعَلَ آخِرُ صلاة اللَّيل الوتر»[34].

وعن نافع، أنَّه قال: «كنتُ مع عبد الله بن عمر بمكَّة والسَّماءُ مُغيمَةٌ، فخشيَ عبدُ الله الصُّبحَ، فأَوْتَرَ بواحدَة، ثمَّ انكشفَ الغَيْمُ، فرَأى أَنَّ عليه ليلاً، فشفَّعَ بواحدَة، ثمَ صلَّى بعد ذلك رَكعتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، فلمَّا خَشِيَ الصُّبحَ أَوْتَرَ بواحدَة»[35].

قال الإمامُ ابنُ عبد البَرِّ: «رُوِيَ عن ابن عُمَرَ هذا المذهبُ في شَفْعِ الوتر بعدَ النَّوم من وجوه»[36].

2. عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، سُئِلَ عن الوتْر، فقال: «أمَّا أنا فأُوترُ، ثمَّ أنامُ، فإذا قُمتُ من اللَّيل ضَمَمْتُ إليها ركعةً أخرى، فما أُشبِّهُها إلاَّ بقَلوص[37] نادرة أضُمُّها إلى الإبل»، ولفظُ عبد الله بن الإمام أحمد: «فما شَبَّهتُهَا إلاَّ بالنَّاقة تُضَمُّ إلى الإبل»، ولفظ ابن أبي شيبة:

(34) أخرجه أحمد (6190)؛ وقال الألباني «الإرواء» (2/194): هذا إسناد حسن.
(35) أخرجه مالك في «الموطأ» (325).
(36) «الاستذكار» (5/278).
(37) القَلوص: جمع قَلائص وقِلاص، وقُلص، وجمع الجمع: قُلصان، والقلوص: الشابة الفتيَّة من الإبل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء، وقيل: هي الناقة الباقية على السَّير، وقيل: هي كلُّ أنثى من الإبل حين تركب إلى أن تُثني، فإذا أثنيت فهي ناقة. «لسان العرب» (7/81)، «طلبة الطلبة» (ص 267).

«ما أُشَبِّهُهَا إلاَّ بالعربيَّة من الإبل»[38].

3. عن أسامةَ بن زيد وابن عبَّاس رضي الله عنهم قالا: «إذا أوتَرْتَ من أوَّل اللَّيل، ثمَّ قُمْتَ تُصلِّي، فصَلِّ ما بَدَا لك، واشْفَعْ برَكْعَة، ثمَّ أَوْتِرْ»[39].

ورواية ابن المنذر، بلفظ: أنَّ أسامةَ وابنَ عبَّاس رضي الله عنهما كانا ينقُضان الوتر».

❋ مناقشة الأدلَّة:

□ مناقشة أدلَّة أصحاب القول الأوَّل:

حديث سعيد بن المُسيَّب عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مُرسَلٌ، وقد وَرَدَ الحديثُ من طُرُق أخرى موصولة، وليس فيها قول أبي بكر رضي الله عنه: «فإذا استيقَظْتُ صلَّيْتُ شفعًا حتَّى الصَّباح» وإذا لم تصحَّ هذه الزِّيادةُ، فلا تكون صالحةً للاستدلال بها على نفي نَقْض الوتر[40]، لكن قال الحافظ ابن عبد البَرِّ: «رُوِيَ عن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه من وجوه: أنَّه كان يُوترُ قبْلَ النَّوم، ثمَّ إن قام صلَّى ركعتَيْن ركعتَيْن ولم يُعِد الوتر»[41].

(38) أخرجه ابن أبي شيبة (6729)، وعبد الله بن أحمد في «مسائله» (2/306، 307)، وابن المنذر في «الأوسط» (2619، 2685، 2687)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (1/340) وإسناده صحيح.
(39) أخرجه ابن أبي شيبة (6727)، وابن المنذر في «الأوسط» (2689) بإسناد صحيح.
(40) انظر: «نيل الأوطار» (3/47).
(41) «الاستذكار» (5/279).





▢ مناقشة أدلة أصحاب القول الثاني:

1. حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «اجعلوا آخرَ صلاتكم باللَّيل وترًا» حجَّةٌ عليهم لا لهم؛ لأنَّهم بنقضهم الوترَ، ثمَّ وترُهم بعد شفع قد أوْتروا ثلاثَ مرَّات، وجعلوا الوترَ في مواضع من صلاة اللَّيل لا في آخر صلاة اللَّيل[42].

2. أمَّا ما رُوِيَ عن ابن عُمَرَ وغيره ممَّن يَرَى نَقْضَ الوتر، فهو اجتهادٌ منهم لا حُجَّةَ لهم فيه من الخَبَر، وليسَ له أصلٌ من النَّظر؛ لأنَّهم يشفعون وترًا مُتقدِّمًا، قد قطعوا بينه وبين ما شفعوا به بكلام وعمل ونوم، وهذا لا أصلَ له في الإجماع؛ فإنَّ العبادات لا سبيلَ إلى نَقْض شيء منها بعد أن يُكمِلَها، فحكمُ المُختَلَف فيه من الوتر، حكمُ ما لم يَختَلفوا فيه[43].

وقد خالفهم من أصحاب رسول الله ﷺ مَنْ تَقَدَّم ذكرُهم، وأنكر عليهم بعضُهم، وتقدَّمَ أيضًا عن رسول الله ﷺ منْ قَوله وفعله وإقرَاره خلافُه.

(42) انظر: «نيل الأوطار» (3/46).
(43) انظر: «شرح معاني الآثار» (1/343)، «الأوسط» (5/199).

✲ سبب الخلاف:

سببُ الخلاف في نَقض الوتر أو عَدَمه يَرجِعُ إلى تعارُض الأخبار، وتبايُن الأنظار، واختلاف الآثار الواردة عن الصَّحابة رضي الله عنهم.

فأمَّا تعارُضُ الأخبار: فهناك حديثان ظاهرُهما التَّعارض: أحدُهما: حديثُ طلق بن علي رضي الله عنه: «لا وتْرَان في لَيْلَة» فهذا يقتضي عدمَ نقض الوتْر، والثَّاني: حديثُ ابن عمر رضي الله عنهما: «اجْعَلُوا آخرَ صلاتكُم باللَّيل وترًا» وظاهرُه يقتضي نقضَ الوتْر المُتَقدِّم؛ ليكونَ الوترُ آخرَ صلاته.

وأمَّا تبايُنُ الأنظار، وهو: هل الوتر يَنقَلبُ إلى نفلٍ بتشفيعه؟ وهل يُشرَعُ التَّنفُّل بركعة واحدة غير الوتر؟ فمَنْ راعَى من الوتر المعقول، وهو ضدُّ الشَّفع، قال: ينقَلبُ شفعًا إذا أُضيفَ إليه ركعةٌ ثانيةٌ، ومَنْ راعى منه المعنى الشَّرعي، قال: ليس ينقلب شفعًا؛ لأنَّ الشَّفع نفل، والوترَ سُنَّةٌ مُؤكَّدةٌ أو واجبةٌ على الخلاف في حكم الوتر[44].

وأمَّا اختلاف الآثار عن الصَّحابة رضي الله عنهم في هذه المسألة فمشهور، فقد كان بعضُهم ينقُضُ الوترَ، وبعضُهُمْ يُنكر ذلك ويتَعَجَّبُ ممَّن يَنقُضُ وترَه، وكان أميرُ المؤمنين عثمان رضي الله عنه يضربُ مثلًا في ذلك، فيُشَبِّهُ نقضَ الوتر بالنَّاقة تُضَمُّ إلى الإبل، وفي رواية: يُشَبِّهُها بقَلوص نادرة يَضُمُّها إلى الإبل؛ فإنَّ القَلُوصَ، أي: الشَّابَّةَ الفتيَّة من الإبل إذا ضُمَّتْ إلى جنسها من الإبل؛ فإنَّ المجموعَ يَصيرُ شَفْعًا، فكذلك إذا صَلَّيْتَ ركعةً بعد القيام من اللَّيل؛ فإنَّها تكونُ مع الوتر المُتقدِّم شفعًا، ويقابلُه مذهبُ أبي هريرة رضي الله عنه فكان يُشبِّهُ عدمَ النَّقض بثلاث أبعرَة ضُمَّ إليها بعيران؛ فإنَّ المجموعَ يُقَالُ له: وترٌ، فكذلك ما صُلِّيَ بعد الوتر من الأشفاع؛ فإنَّها تكونُ مع الوتر المُتقدِّم وترًا، فهذان مثلان مُتعارضَان يُقرِّبَان المعقول من المحسوس، وكلُّ واحد منهما اعتبر المعقول بالمحسوس.

وقد صرَّح ابنُ عمرَ رضي الله عنهما بأنَّ مُستَنَدَه في نَقض الوتر الرَّأيُ الَّذي هو القياس.

فعن مسروق بن الأَجْدَع، قال: سألتُ ابنَ عُمَرَ عن نَقْض الوتر، فقال: «إنَّما هو شيءٌ أَفْعَلُه برأيي لا أَرْويه عن أَحَد» وفي رواية: «لَيْسَ أَرْويه عن أَحَد، إنَّمَا هو شَيْءٌ أَقُولُه برَأْيي»[45].

وزاد الطَّحاوي: «قال مسروق: «وكان أصحابُ ابن مسعود رضي الله عنه يتعَجَّبُونَ من صُنع ابن عمر رضي الله عنهما».

وعن حمَّاد بن أبي سُلَيْمان، قال: سألتُ سالمًا عن صنع ابن عمر رضي الله عنهما ذلك، فقال: «كانَ رَأْيَهُ، لَمْ يُؤْثِرْهُ عن أَحَد»[46].

لكن يُشكلُ عليه ما تقدَّم عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ فقد صرَّح بأنَّ مُستَنَدَه النَّصُّ بقوله: «أَمَّا أنا فلو أَوْتَرْتُ قَبْلَ أن أَنَامَ، ثمَّ أَرَدتُ أن أُصَلِّيَ باللَّيْل شَفَعْتُ بواحدة ما مضى من وتْري، ثمَّ صَلَّيْتُ مَثْنَى مثنًى، فإذا قضيتُ صَلاتي، أَوْتَرْتُ بواحدة؛ إنَّ رسولَ الله ﷺ أمر أن يُجْعَلَ آخرُ صَلاة اللَّيل الوتْر».

(44) انظر: «بداية المجتهد» (1/204.205).

(45) أخرجه ابن نصر كما في «مختصر كتاب الوتر» (ص 103)، وابن المنذر في «الأوسط» (2692)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (1/341)، والبغوي في «الجعديات» (437)، وابن حزم في «الإحكام» (6/246)، وهو صحيح ثابت.
(46) أخرجه أبو يوسف في «الآثار» (ص 347).

وقال الحافظ ابن رجب عند مَعرض ذكر مُستَنَد بعض الصَّحابة رضي الله عنهم في نَقْض الوتر: «وهؤلاء أخذوا بقوله: «اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ وِتْرًا» ولهذا روى ابنُ عمر هذا الحديث، وهو كان ينقُضُ وتره، فدلَّ على أنَّه فَهِمَه منه»[47].

وقال الإمامُ الشَّوكاني: «وقد استدلَّ به ابنُ عمر ومَنْ مَعَهُ على جواز نقض الوتر»[48].

قلتُ: يحتمل أن يكونَ مُستَنَدُ ابن عمرَ أوَّلَ الأمر ما رواه عن النَّبيِّ ﷺ: «اجعلُوا آخرَ صَلاتكُم باللَّيل وترًا» ثمَّ رَأى ضَعفَ الاستدلال بهذا النَّصِّ، فعدَلَ عنه إلى القياس، ولذلك صرَّحَ بأنَّ مَأخَذَه الرَّأيُ لا النَّصُّ.

ويحتمل أن يكون استنَدَ إلى حديثه الَّذي رواه عن النَّبيِّ ﷺ في كَونه يَجعَلُ آخرَ صَلاته وتْرًا، ألا ترى إلى قوله: «فإذا قضيتُ صلاتي، أوتَرْتُ بواحدة؛ إنَّ رسولَ الله ﷺ أمَرَ أن يُجعَلَ آخرُ صَلاة اللَّيل الوترَ» فاستدلالُه بهذا الحديث على الوتر الَّذي يَختِمُ به صلاتَه لا على نَقض الوتر، وأمَّا نقضُ الوتر وشَفعُه بركعة؛ فإنَّه لم يَستَنِدْ في فعله هذا إلى ما يرويه عن رسول الله ﷺ بل صرَّحَ بأنَّ مُستَنَدَه في ذلك الرَّأيُ؛ لأنَّ ابنَ عُمرَ رضي الله عنهما كان يُشَفِّعُ وِتره، فلمَّا سألَهُ مَسرُوقٌ عن حُجَّته في فعله هذا لم يَحتَجَّ بقول النَّبيِّ ﷺ: «اجْعَلُوا آخرَ صَلاَتكُمْ وِتْرًا» بل قال: «إنَّما هو شيءٌ أفعَلُه برَأْيي، لا أَرْويه عن أحد» فلو رأى في قول النَّبيِّ ﷺ: «اجْعَلُوا آخِرَ صَلاتكُمْ باللَّيل وِتْرًا» حجَّةً في شَفعه الوترَ لاحْتَجَّ به، وقال: إنَّما أفعَلُه اتِّباعًا لأمر النَّبيِّ ﷺ، ولم يقل: «إنَّما أفعلُه برأيي»[49].

وهو رأيٌ لم يَشهَدْ له نصٌّ صريحٌ، ولا قياسٌ صحيحٌ؛ ولذلك قال الإمامُ ابنُ عبد البرِّ: «مُحالٌ أن يُشَفِّعَ ركعةً قد سلَّمَ منها ونامَ مُصَلِّيها، وتراخى الأمرُ فيها، وقد كَتَبَها المَلَكُ الحافظُ وترًا، فكيف تعودُ شَفْعًا؟! هذا ما لا يصحُّ في قياس ولا نظر»[50].

وأمَّا ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما فقد رُويَ عنه نقضُ الوتر وعدمُه، قال الحافظ ابن عبد البرِّ: «اخْتُلِفَ فيها عن ابن عبَّاس، وسعد بن أبي وقَّاص»[51].

وقال الحافظ ابنُ المنذر: «ورُويَ هذا القول - يعني عدمَ نقض الوتر - عن ابن عبَّاس خلافُ القول الأوَّل، وممَّن رُويَ عنه من أصحاب رسول الله ﷺ في هذه المسألة قولان، فلعلَّه قد فعل الفعلَين جميعًا»[52].

قلتُ: المشهورُ عن ابن عبَّاس والمَرويُّ عنه من وجوه عدمُ نقض الوتر، ورَوَى عنه من طريق صحيح: أبو مِجْلَز، لاحق ابن حميد نقضَ الوتر، فلعلَّه كان يرى نقضَ الوتر أوَّلاً، ثمَّ رجَعَ عنه وأمَرَ بعدم النَّقض وكان يُؤَكِّدُ ذلك، وأنْكَر على ابن عمر رضي الله عنهما نقضَهُ الوترَ، وقد ذهبَ جماعةٌ من أصحاب ابن عبَّاس رضي الله عنهما إلى عدم النَّقض؛ كعطاء وطاوس وأبي مِجلَز.

❋ التَّرجيح:

الَّذي يَظهَرُ لي رُجحَانُه ما ذَهَبَ إليه جمهورُ العلماء من عدم نَقض الوتر، وهو أنَّ المُصلِّي إذا أوْتَر قبلَ أن يَنَامَ، ثمَّ قام، فلا يَشْفَعُ وِتْرَه، بل يُصَلِّي ما تيسَّرَ له شفعًا مَثنى مثنى، ولا يُكرِّرُ الوترَ، ولا يَختِمُ به صلاتَه، بل يَكفيه وترُه المُتقدِّم؛ لنهي النَّبيِّ ﷺ عن وترَيْن في ليلة؛ ولأنَّه هذا الَّذي فعلَه النَّبيُّ ﷺ، وفعله أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وأقرَّه النَّبيُّ ﷺ على ذلك فيما رُوِيَ عنه من طريق مُرسَل؛ وفعلَه جماعةٌ من الصَّحابة رضي الله عنهم، منهم حبرُ الأمَّة ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما وخطَّأ ابنُ عُمرَ رضي الله عنهما في اجتهاده، وكذلك أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها وهي أعلَمُ النَّاس بوتر رسول الله ﷺ، فقولُها مُقَدَّمٌ، وقد كَرِهَتْه وخطَّأَتْ مَنْ يَنقُضُ وترَه؛ لأنَّه لا مُستَنَد له منَ السُّنَّة، وإنَّما فعَلَه عن اجتهاد منه لا عن توقيف، وقد اعترَفَ ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّه فَعَلَه عن رأي لا عن نصٍّ، والعباداتُ مبناها على التَّوقيف، فالأصلُ عَدَمُ النَّقض حتَّى يَدُلَّ دليلٌ صحيحٌ صريحٌ على جواز نقض الوتر، ولم يَثبُتْ عن رسول الله ﷺ أنَّه نقَضَ وترَه؛ ولأنَّ ناقضَ الوتر يُصلِّي ركعةً نَفَلَ ليُشفِّعَ وترَه المُتقدِّم، وبينهما فاصلٌ من تسليم وكلام ونوم وحَدَث وعمل وغسل أو وضوء، وذلكَ ينافي استدامةَ الصَّلاة، ويَمْنَعُ إضافةَ ما بعدَها إليها، ولم يُعهَدْ في الشَّرع، ولا أصلَ له يُرجَعُ إليه، والله أعلم.



(47) «فتح الباري» (6/255).
(48) «نيل الأوطار» (3/46).
(49) انظر: «مختصر كتاب الوتر» (ص 102)، «الأوسط» (5/198).
(50) «الاستذكار» (5/280).
(51) المصدر السابق (5/278).
(52) «الأوسط» (5/199).



❊ تنبيهات مهمات:

التَّنبيه الأوَّل: تقدَّم أنَّ مَذهَبَ الإمام مالك كمذهب الجمهور أنَّه لا يَنقُضُ وترَه ويُصَلِّي شَفعًا، وبناءً على هذا: فإنَّ المشهورَ عند المالكيَّة أنَّ مَنْ تَنَفَّلَ بعد وتره، فإنَّه لا يُعيدُ الوترَ، والقولُ الثَّاني: أنَّه يعيدُ الوترَ؛ ليكون آخرَ تهجُّده الوترُ، والأوَّلُ هو الَّذي يدلُّ عليه الدَّليل الصَّحيح الصَّريح؛ إذ لا وِتْرَان في ليلة[53].

التَّنبيه الثَّاني: تقدَّم أيضًا أنَّ مَذهَبَ الإمام الشَّافعي كمَذهَب أكثر أهل العلم؛ أنَّه لا يَنقُضُ وترَهُ ويُصَلِّي شَفْعًا، وأمَّا ما يَحكيه بعضُ النَّاس روايةً ثانيةً عن الإمام الشَّافعي أنَّه يُشْرَعُ نقضُ وتره بركعَة، فإنَّما هو وجهٌ عند الشَّافعيَّة حكاه بعضُ أئمَّتهم، لا روايةٌ عن الإمام، قال الجويني: «لم يَرَهُ أَحَدٌ ممَّن يُعتَمَدُ من أئمَّة المذهب»، وقال النَّووي: «وجهٌ حكاه إمام الحرمين وغيرُه من الخُرَاسانيِّين»[54].

(53) انظر: «التنبيه على مبادئ التوجيه» (2/561)، «شرح التلقين» (2/779)، «المُذهب في ضبط مسائل المذهب» (1/332)، «المفهم» (2/385).
(54) انظر: «نهاية المطلب» (2/361)، «المجموع» (3/509).

التَّنبيه الثَّالث: قولُ بعض المعاصرين بأنَّ نقضَ الوتر لا دليلَ عليه، وأنَّه بدعة مُحدَثَةٌ!! وهذا يدلُّ على أنَّ هذا القائلَ غيرُ مُطَّلع على مذاهب السَّلف والأئمَّة وأدلَّتهم وخلافهم المشهور في هذه المسألة، والواجب على المسلم أن لا يتكلَّم في مسائل الدِّين إلَّا بعلْم.

قيل للإمام أحمدَ: «ولا ترى نقضَ الوتر؟ فقال: لا، ثمَّ قال: وإن ذهب إليه رجلٌ فأرجو؛ لأنَّه قد فعَلَه جماعةٌ»[55].

وقال ابنُ رشد الجدُّ: «وهذا القولُ مَشهورٌ في السَّلف، ويُسَمُّونه مسألةَ نقض الوتر»[56].

التَّنبيه الرَّابع: الأفضلُ في صلاة التَّراويح وقيام اللَّيل الاقتصارُ على إحدى عَشْرَةَ ركعة؛ اقتداءً بالنَّبيِّ ﷺ فإنَّه ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة كما ذكرت ذلك أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها والحديث في «الصَّحيحين»[57]، ولكن لو زاد على ذلك العدد جازَ؛ لعموم الأدلَّة المُرَغِّبَة في صلاة النَّوافل؛ ولجَرَيَان عَمَل السَّلف ومَنْ بَعْدَهُمْ على الزِّيادة من غير نكير، ولا يَنْبَغي الاختلافُ والنِّزاعُ والشِّقاقُ في هذه المسألة - أعني في عدد ركعات التَّراويح -؛ لأنَّها من المسائل الَّتي يَسُوغُ فيها الخلافُ، فالأمر فيها واسعٌ ولله الحمدُ.

التَّنبيه الخامس: الأفضلُ على المأموم الإيتار مع الإمام في صلاة التَّراويح ويُسلِّم بتَسليمه، وأنْ لا يَنصَرفَ المأموم قبل أن يُوترَ مع إمامه ليَحصُلَ على فضل قيام ليلة؛ لقوله ﷺ في حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه: «إنَّه مَنْ قَامَ مع الإمام حتَّى يَنْصَرفَ كُتبَ له قيامُ ليلة»[58].

(55) «المغني» (2/120).
(56) «البيان والتحصيل» (1/291).
(57) أخرجه البخاري (1147)، ومسلم (738).

التَّنبيه السَّادس: إذا سلَّمَ الإمامُ من الوتر في صلاة التَّراويح، وسلَّم المأمومُ معه، ثمَّ قامَ وصلَّى ركعةً يَنقُضُ بها وترَهُ، فمثل هذا يُنهَى عنه، ولا يُعلَمُ عن أحد من السَّلف فعلُه.

التَّنبيه السَّابع: إذا سلَّم الإمامُ من الوتر، ثمَّ قام المأمومُ بعد سلام الإمام وشَفَعَ وترَه بركعة ثانية؛ لأجل أنَّه يُريدُ أن يوترَ آخرَ اللَّيل أجازَ ذلك بعضُ الأئمَّة الفُقهاء، ورَأَوْا أنَّه لا يضُرُّ اختلافُ نيَّة المأموم مع الإمام، ويَصدُقُ على المأموم أنَّه لم يَنْصَرفْ حَتَّى انْصَرَفَ الإمامُ، وفيه نظر؛ إذ لم أَقفْ على ما يَدُلُّ عليه صراحةً من السُّنَّة النَّبويَّة أو فعل الصَّحابة رضي الله عنهم، والعبادات مبناها على التَّوقيف، ويُخشَى على فاعله الوقوع في الرِّياء، والأَوْلَى والأَحْوَط أن يَنصَرفَ مع إمامه، ثمَّ إن أَرَادَ أن يُوتر آخرَ اللَّيل فإنَّه يُصَلِّي مَثْنَى مَثْنَى، ولا يُعيدُ الوترَ على الصَّحيح من أقوال العلماء.

وقد سُئلَ الإمامُ مالكٌ عن الرَّجُل يُصلِّي مع الإمام في رمضان الوترَ فيُوترُ معه، فيُريدُ أن يُصَلِّيَ وترَه بركعة أخرى ويُوترُ هو بعد ذلك، قال: لا، ولكن يُسَلِّمُ معه، ويقوم فيُصلِّي بعدَ ذلك لنفسه ما أَحَبَّ، قال: قال لي مالك قبل ذلك: ويَتَأَنَّى قليلاً أَعْجَبُ إليَّ[59].

واستَحَبَّ الإمامُ أحمد وغيرُه أن يكونَ بعد الوتر ضجعةٌ[60]، يعني أن ينام بعد الوتر، ثمَّ يقوم فيُصلِّي مثنى مثنى.

والمسألةُ الَّتي تقَدَّمَ فيها الخلافُ المشهورُ بين السَّلف في نقض الوتر غيرُ هذه، والله أَعْلَمُ، وبالله التَّوفيق.

(58) أخرجه أبوداود (1375)، والترمذي (806)، والنسائي (1605)، وابن ماجه (1327)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
(59) «العتبية مع البيان والتحصيل» (1/290).
(60) «مسائل أبي داود» (ص 94).



أ.د محمد علي فركوس
أستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر

بدعة تقسيم الدين إلى ثوابت ومتغيِّراتٍ وآثارها السيِّئة على الأمَّة

قد تقدَّم ـ في مقال سابق[1] ـ الحديثُ عن بدعة تقسيم الدِّين إلى حقيقة وشريعة، والعلم إلى باطن وظاهر، ودعوى أنَّ حقيقة الباطن مخالفةٌ لشريعة الظَّاهر، وما يخلِّفه هذا المعتقَدُ ـ حالَ العمل به ـ مِن آثارٍ غايةٍ في الخطورة على الأمَّة وانحراف عن سواء السَّبيل.

وقد رأيتُ من المفيد ـ استكمالاً للفائدة ـ أن أُتبِعَه بموضوع آخَرَ له علاقةٌ بالتَّقسيمات الاصطلاحيَّة للدِّين لا يقلُّ خطورةً وضررًا عن سابقه، ويتمثَّل في أحد المفاهيم الباطلة للتَّقسيم الاصطلاحيِّ للدِّين إلى ثوابت ومتغيِّرات، وما يترتَّب عليه من أحكام شرعيَّة ما أنزل الله بها من سلطان، الأمر الَّذي خلَّف هو الآخَر ـ كسابقه ـ آثارَه السَّيِّئةَ على الأمَّة، فضلاً عمَّا يحمله هذا التَّقسيمُ الاصطلاحيُّ للدِّين من تباينٍ لمنهج أهل الحقِّ مِن الأئمَّة العدول الأثبات، أعلامِ الفتوى والدِّين مِن أهل السُّنَّة والجماعة.

(1) نشر في «الإصلاح» (عدد 39، ص 17).

والمعلومُ ـ لدى كلِّ محصِّلٍ ـ أنَّ الله تعالى أكملَ أحكامَه وشرْعَه ودينَه بنبيِّه ﷺ، وتمَّت نعمتُه واستقرَّت؛ ذلك لأنَّ المسائل المعلومةَ من الدِّين بالضَّرورة والقطعيَّةَ الإجماعيَّةَ ليست من المتغيِّرات لثبوتها بالنَّصِّ والإجماع.

وكذلك المسائلُ الاجتهاديَّة الَّتي يتمسَّك فيها كلُّ فريقٍ من المجتهدين بدليلٍ يستند إليه فيها ولا يقطع فيها بصواب قوله وخطإ مَن خالفه فيما إذا كانت المسألةُ مُحتَمَلةً، فالمسائل الاجتهاديَّة لا إنكارَ فيها على المخالف إلاَّ بعد بيان الحجَّة وإظهار المحجَّة، وهذه المسائل لا تُسمَّى بالمتغيِّرات؛ لأنَّها ثابتةٌ في حقيقة الأمر، وحكمُها واحدٌ معلومٌ عند الله، وقد جَعَلَ له أدلَّةً وأمارات يُعرف بها، وإنَّما التَّغيير حاصلٌ في اجتهاد المجتهد ونظره الَّذي له فيه نصيبٌ بين الأجر والأجرين إذا اتَّقى الله في اجتهاده.

أمَّا المسائل غيرُ الاجتهاديَّة ـ وهي ما يُعرف بالمسائل الَّتي لا يَستنِدُ فيها المخالف إلى دليل صحيح يؤيِّده ـ: فإنَّ هذه المسائلَ لا يُلتفت إلى الخلاف فيها لشذوذه أو ضعفه؛ كمن خالف في قولٍ يخالف سنَّةً ثابتةً أو إجماعًا شائعًا، وهذا يجب فيه الإنكارُ على العمل المخالف للسُّنَّة أو الإجماع بحَسَب درجات الإنكار[2].

وإذا كانت المسائلُ الاجتهاديَّة لا تُسمَّى متغيِّرات فلا شكَّ أنَّ المسائل الخلافيَّةَ ليست من المتغيِّرات من باب أَوْلى لقيام الدَّليل الشَّرعيِّ المعارض لها.

وعليه؛ فإنَّ دينَ الله كلَّه حقٌّ ثابتٌ ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت]، وليس لأحد أن يُغيِّر شيئًا منه أو يبدِّله أو يزيدَ عليه أو يُنْقِصَ منه؛ لأنَّ الشَّريعة كاملةٌ غيرُ منقوصة، وتامَّةٌ لا تحتاج إلى زيادة المبتدعين واستدراكات المستدركين، وقد أتمَّ الله هذا الدِّينَ فلا ينقصه أبدًا، ورَضِيَه فلا يَسْخَطُهُ أبدًا، كذا ينبغي أن يكون عليه إيمانُ المسلم الصَّادق، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، وقال ﷺ: «وَايْمُ اللهِ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ البَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ»[3].

هذا، وإنْ أُريدَ بالمتغيِّرات آراءُ المجتهدين الَّذين يبذُلون الوُسْعَ في النَّظر في الأدلَّة الشَّرعيَّة لاستنباط الأحكام الشَّرعيَّة منها ـ فقد يُغيِّرُ المجتهدُ الرَّأيَ في المسألة المُجتهَد فيها أو في حقِّ نازلة يَبْحث فيها في محاولة للكشْف عن حُكمها الشَّرعيِّ؛ فإنَّه يجوز للمجتهد تغييرُ رأيه وتبديلُ اجتهاده، والعدولُ عنه إلى قولٍ آخَرَ اتِّباعًا للدَّليل الشَّرعيِّ، والظَّاهرُ أنَّ هذا المعنى هو المرادُ بالقول بالمُتغيِّرات؛ لأنَّ المجتهدَ لا يصحُّ أن يقطع بصواب قوله وخطإ قول مَن خالفه فيما إذا كانت المسألة مُحتمَلةً ـ؛ إلاَّ أنَّ الجدير بالتَّنبيه والتَّذكير ـ في باب الاجتهاد ـ أنَّ آراء المجتهد وأنظارَه وأقوالَه لا تُسمَّى تشريعًا؛ فإنَّ التَّشريع هو الكتاب والسُّنَّة، أمَّا الاجتهاد فهو رأيُ الفقيه أو حُكْمُ الحاكم، وقد كان النَّبيُّ ﷺ إذا أمَّرَ أميرًا على جَيْشٍ أو سريَّة أوصاه: «وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ فَلاَ تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ؛ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لاَ»[4].

فالحاصل: أنَّه كما أنَّ اجتهادات المجتهدين لا تنقسم إلى ثوابتَ ومتغيِّرات؛ لأنَّ المسائل الاجتهاديَّةَ ظنِّيَّةٌ في الغالب لا يُقطَع فيها بصحَّة القول أو خطئه، فهي قابلةٌ للتَّغيير متى كانت مخالِفةً للدَّليل الشَّرعيِّ، فليس في اجتهاداتهم ثوابتُ، بل هي من المتغيِّرات.

وبالعكس فأحكام الله قضايا تشريعيَّةٌ يقينيَّةٌ يُجزَم فيها بحكم الله تعالى، فهي حقٌّ ثابتٌ لا يَقبَلُ التَّغييرَ ولا التَّبديل.

وممَّا يحاكي هذا المعنى ما يجري على لسان أصحاب الأساليب المولَّدة المعاصرة كقولهم: «تطوُّر الفقه الإسلاميِّ»، والمعلوم أنَّ الفقه كأحكام الله تعالى ثابتٌ لا يتطوَّر، أي: لا يقبل التَّغييرَ ولا التَّبديل؛ لأنَّ الفقه الإسلاميَّ يتوافق مع جميع شؤون الحياة وظروف المجتمع وأحوال المعيشة في كلِّ الأزمان والأماكن والأحوال، وإنَّما يحصل التَّغيير في المسائل الاجتهاديَّة الظَّنِّيَّة المخالفة للدَّليل الشَّرعيِّ، والأصل أن يقال: الفقه الإسلاميُّ والتَّطوُّر.

علمًا أنَّ الدَّعوة إلى تطوير الفقه الإسلاميِّ تكمن حقيقتُها في إرادة الخروج عن أحكام الإسلام والابتعاد عن مبادئه ومضامينه الشَّرعيَّة والمقاصديَّة بتبديل الشَّريعة وتغييرها

(2) انظر: «إعلام الموقِّعين» لابن القيِّم (6/ 288. 289).

(3) أخرجه ابن ماجه (5) من حديث أبي الدَّرداء رضي الله عنه، والحديث حسَّنه الألباني في «السِّلسلة الصَّحيحة» (688).

(4) أخرجه مسلم (1731) من حديث بريدة الأسلميِّ رضي الله عنه.

عـن قصد أو بالتَّبعيَّـة[5]، ولذلك فنسبةُ الثَّوابت والمتغـيِّرات للدِّين غيرُ صحيح، وإضافتُها إلى المجتهدين غيرُ سليم.

هـذا؛ وتقسيـم الدِّيـن إلى: ثوابـتَ ومتغـيِّرات مصطلحٌ حـادثٌ يهدف منه أبناءُ المسلمين المتأثِّـرون بالفكر الغربيِّ وحضارتـه إلى ضـرورة تضييـق دائرة الثَّوابـت إلى أبْعَـد حـدٍّ، وتوسيـع دائرة المتغـيِّرات توسيعًـا يتوافق مـع النَّموذج الغربـيِّ؛ وذلـك بإحـداث الضَّبابيَّـة والتَّعميـة، والتَّشكيـك في الثَّوابـت على أنَّهـا مُجـرَّدُ عـادات وتقاليـدَ، أو أنَّهـا تخضـع لمبـدإ سـدِّ الذَّرائع الَّـذي تتغيَّر أحـكامُ المسائـل المندرجـة تحتـه بتغيُّر الزَّمـان عملاً بالقاعـدة الفقهيَّة: «تَغَيُّرُ الفَتْوَى بِتَغَـيُّرِ الزَّمَانِ وَالأَحْـوَالِ»[6]، ثمَّ تعميـم القاعدة علـى الأحـكام المعقولة المعنـى وبعض الأحـكام غـير المعقولة المعنـى، وذلـك في سعيهـم الحثيث للبحـث عن إمكانيَّة الجمـع بين ما عليه الغـربُ في تشريعاته وأحـوال مُجتَمَعاته وحضارته مـع ما عليه الإسلام، سالكين في ذلـك منهـجَ المقارنـات والمقاربـات والتَّلميـع، فيقدِّمـون ـ مـن خـلال هـذا المنهـج ـ كلَّ يوم تنازلاً عـن أحد الثَّوابت علـى أنَّه مـن الظَّنِّيَّـات المشمولـة بشقِّ المتغـيِّرات، مسوِّغـين ذُلَّ تنازُلهـم تارةً بحُجَّـة أنَّ مصلحـة الأمَّـة تقتضي هذا التَّصـرُّف، وتـارةً بدعوى العمـل بروح الإسـلام وسماحتـه وسَعَة أُفُقـه، وتارةً أخرى بدعوى مراعـاة مقاصد التَّشريع واختلاف الظُّـروف والضُّغوط والأحوال ومُقتَضَيات العصر.

والمعلـوم أنَّ الاستـدلال بقاعدة: «لاَ يُنْكَرُ تَغَـيُّرُ الأَحْكَام بِتَغَـيُّرِ الزَّمَانِ» غيرُ ناهض من جهتين:

الأولى: أنَّ القاعدة الفقهيَّة لا تصلُحُ أن تكون حجَّةً إلاَّ إذا كانت دليلاً مُستقلاًّ وثابتًـا، أو عبَّرتْ عـن دليل أصـوليٍّ، أو كانـت مُشتركةً مـع القاعـدة الأصوليَّة، والقاعـدة الفقهيَّـة المجـرَّدة عـن ذلك تصلح أن تكـون شاهدًا مرافقًـا للأدلَّة يُستَأْنَـس به في تخريـج الأحكام للوقائع والقضايا الجديدة إلحاقًـا قياسيًّا على المسائل الفقهيَّة المدوَّنة.

الثَّانية: والقاعدة المذكورة ـ وإن كان لها علاقـةٌ بالعلَّة القابلة للتَّغيُّر كالعرف والمصلحة ـ إلاَّ أنَّ صِيَغها مُجملةٌ لشمولها للأحكام المنصوص عليها والمعلَّلة، ومثل هـذا العمـوم غـيرُ مقصـود في وضـع صياغتها، لذلك احتاجـت القاعدة إلى بيانٍ وتفصيلٍ، يظهر وجهه فيما يلي:

ـ الأحـكام إمَّا أن تكـون تعبُّديَّةً غيرَ المعقولـة المعنـى: فإنَّها لا تقبـل التَّغييرَ أبـدًا؛ لكونهـا مبنيَّـةً علـى النُّصوص الشَّرعيَّة الثَّابتـة الَّتي لا تقبل التَّبدُّلَ ولا التَّغيُّر.

ـ وإمَّـا أن تكون مُعَلَّلَـةً وهي الأحكام معقولةُ المعنى وهي على ضربين:

إمَّـا أن تكـون علَّتُها ثابتـةً لا تتغيَّر: فهـذه حكمُهـا حكـمُ النَّصِّ الثَّابت، لا يدخلها تغيُّرٌ ولا تقبـل التَّبديلَ: كتحريم الخمر لعلَّة الإسكار، ووجوبِ القطع لعلَّة السَّرقـة، ووجـوبِ اعتزال النِّسـاء لعلَّة الحيض، وتحريم القمار لعلَّة الغرر ونحو ذلك، فيطَّرد في شأنها الحكمُ وينعكس، أي: يدور الحكمُ مع علَّته وجودًا وعدمًا.

وإمَّـا أن تكون علَّتُها غـيرَ ثابتةٍ وهي الأحـكام الاجتهاديَّـة المبنيَّـة علـى علَّةٍ قابلة للتَّغيير كالعـرف والمصلحة: فهذه تتبـدَّل بتبدُّل الزَّمـان والأعراف اتِّفاقًا ـ كمـا تقدَّم ـ، وضمن هذا التقسيم لنوعي الأحـكام الشرعية قـال ابن القيم رحمه الله: «الأحـكامُ نوعان: نـوعٌ لا يَتَغيَّرُ عن حالة واحـدة هـو عليهـا، لا بحَسَـب الأزمنـة ولا الأمكنـة ولا اجتهـاد الأئمَّة؛ كوجوب الواجبات، وتحريم المُحرَّمات، والحدود المُقدَّرة بالشَّرع على الجرائم ونحو ذلك؛ فهـذا لا يَتَطـرَّقُ إليه تغيـيرٌ ولا اجتهادٌ يُخالـفُ ما وُضِـعَ عليه، والنَّـوع الثَّاني: ما يتغيَّر بحسـب اقتضـاء المَصلَحَة له: زمانًا ومكانًا وحالاً؛ كمقادير التَّعزيرات وأجناسهـا وصفاتها؛ فإنَّ الشَّـارعَ يُنَوِّعُ فيها بحسب المصلحة»[7].

لذلـك كان لزامًـا تقييـدُ القاعـدة المذكورة بإضافـة كلمة توضيحيَّة تفاديًا للإجمال، وتكـونُ الصِّيغـة المعدَّلة على الوجـه التَّـالي: «لاَ يُنْكَـرُ تَغَـيُّرُ الأَحْكَام الاجْتِهَادِيَّة المَبْنِيَّة عَلَى العُرْفِ وَالمَصْلَحَةِ بِتَغَيُّرِ الزَّمَانِ».

ولا يخفى أنَّ الَّـذي يقبل التَّغيُّر إنَّما هـو الأحـكام الاجتهاديَّـة المبنيَّـة علـى العـرف والمصلحة والَّتي مـن ضوابطها عودُها علـى مقاصـد التَّشريع بالحفظ والصِّيانة، وعـدمُ اصطدامها بنصوص التَّشريع والإجماع، وعدمُ استلزام العمل بهـا مفسدةً أرجحَ منهـا أو مساويةً لها، وعدمُ تعارُضهـا مع مصلحة أرجحَ منها أو مساوية لها؛ فإنَّ الأحكامَ المبنيَّة عليها مشمولـةٌ بالقاعدة السَّالفـة البيانِ دون غيرها.

هـذا؛ وقـد ترتَّب عن هـذا التَّقسيم المزعوم ـ بالمفهوم الاصطلاحيِّ الحديث

---

(5) انظـر «معجـم المناهـي اللَّفظيَّـة» لبكـر أبو زيد (371).

(6) انظر تفصيلَ قاعدة: «لاَ يُنْكَرُ تَغَيُّرُ الأَحْكَام بِتَغَيُّرِ الزَّمَـانِ» في الكلمـة الشَّهريَّـة: «في حكـم إغلاق المسجد».

(7) «إغاثة اللَّهفان» لابن القيِّم (1/330 ـ 331).

ـ آثارٌ سيِّئةٌ على دين أمَّة الإسلام وأخلاقها، ومن هذه الآثار النَّاجمة عن القول بالمتغيِّرات ما يلي:

ـ حرِّيَّةُ الارتداد عن الدِّين وممارسة طقوس غير المسلمين جهارًا، بدعوى حرِّيَّة الأديان وتقارُبها في ظلِّ الأخوَّة الإنسانيَّة ـ زعموا ـ.

ـ تعطيلُ الحدود الشَّرعيَّة من الرَّجْم والقطع والقصاص، وإبطالُها بدعوى أنَّها أعمالٌ وحشيَّةٌ تنافي العقلَ والطَّبع.

ـ تجويزُ أشكال الرِّبا باسم البيع؛ لإضفاء المشروعيَّة عليها، وإباحةُ القروض الرِّبويَّة بدعوى تلبية حاجيات الأمَّة والضُّغوط الدَّوليَّة، وتسويغ ذلك بقصد الالتحاق بركب الحضارة.

ـ تحريمُ تعدُّد الزَّوجات، ومنعُ الزَّواج المُبكِّر، والمطالبةُ بمناصفة الأنثى للذَّكر في القسمة الإرثيَّة، كلُّ ذلك بحجَّة أنَّ تطبيق تلك الأحكام الشَّرعيَّة سلوكٌ غيرُ حضاريٍّ ويناقي الإنصافَ والعدل.

ـ دعوة المرأة للخروج متبرِّجةً وعاريةً، واختلاطها بالرِّجال، وسفرها لوحدها أو مع أجنبيٍّ، وتزويج نفسها بنفسها، بل إباحةُ الزِّنا واللِّواط وشُرْب الخمر والرِّهان والقمار وسائر المعاصي الَّتي تهدم الأخلاقَ وتهتك الأعراضَ، بحُجَّة التَّقدُّم والرُّقيِّ والتَّحرُّر، ويتمُّ تسويغُ ذلك تحت شعار ما يسمَّى بالمتغيِّرات.

وهذا غيضٌ من فيض ليصلوا بهذا التَّمييع للدِّين إلى مواكبة الغرب الكافر حضاريًّا وسلوكيًّا، وينتهضوا بأمَّتهم ـ زعموا ـ إلى مصافِّ الدُّول المتقدِّمة، علمًا بأنَّ الأبعاد الفكريَّة والنَّفسيَّة للمخطَّط الغربيِّ الَّذي يُجريه بأيدي أبناء جلدتنا إنَّما يكمن في تغيير وجه الإسلام الأصيل إلى بديل على نمط غربيٍّ، تمهيدًا لمحو الطَّابع المميِّز والأصيل للشَّخصيَّة الإسلاميَّة، مصداقًا لقوله ﷺ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: «يَا رَسُولَ اللهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟» قَالَ: «فَمَنْ؟»[8].

وأخيرًا، نلفت النَّظر إلى أنَّه بواسطة التَّلبيس على الأمَّة بتسمية الحقِّ بالباطل بالتَّقسيمات والمناهج المُضلَّة تأتي مثل هذه العبارات والأساليب المولَّدة المعاصرة الفاسدة الَّتي يتشوَّف إليها أهلُ الأهواء والباطل تسلُّلاً للوصول إلى تمييع الدِّين وقَصْره على بعض شؤونه في حدود ضيِّقة كأماكن العبادات ومظاهر الأخلاق دون بقيَّة شؤون الحياة تجسيدًا لعَلْمَنَة الدِّين.

وحتَّى يتحقَّق لهم هذا الغرضُ فلا بدَّ من إبقاء فضاء أَوْسَعَ لعالَم المتغيِّرات للعبث بشريعة الله تعالى، ومجالٍ رَحْبٍ للتَّلاعب بأحكامها، تبعًا لأهواء الَّذين ارتمَوْا في أحضان الغرب جملةً وتفصيلاً، أو لمن ضَعُفوا عن مواجهته وعَجَزوا عن مقاومته واستسلموا له مُذْعنِينَ وصَاغرِين، وأرادوا الحيلولةَ بين النَّاس ودينهم وصَرْفَهم عن الحقِّ، ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ٧١﴾ [المؤمنون].

والعلم عند الله تعالى، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّد، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين، وسلَّم تسليمًا.

(8) أخرجه البخاري (7320)، ومسلم في (2669)، من حديث أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه.



نجيب جلواح

مُصيبة مَوت النَّبيِّ ﷺ

دروس وعبر

اقرؤوا التّاريخ إذ فيه العِبر
ضلّ قومٌ ليس يدرون الخبر
ولقد رأيتُ مِن التّاريخ عبرة
والدّهرُ ذو عِبَر لمن يعتبر

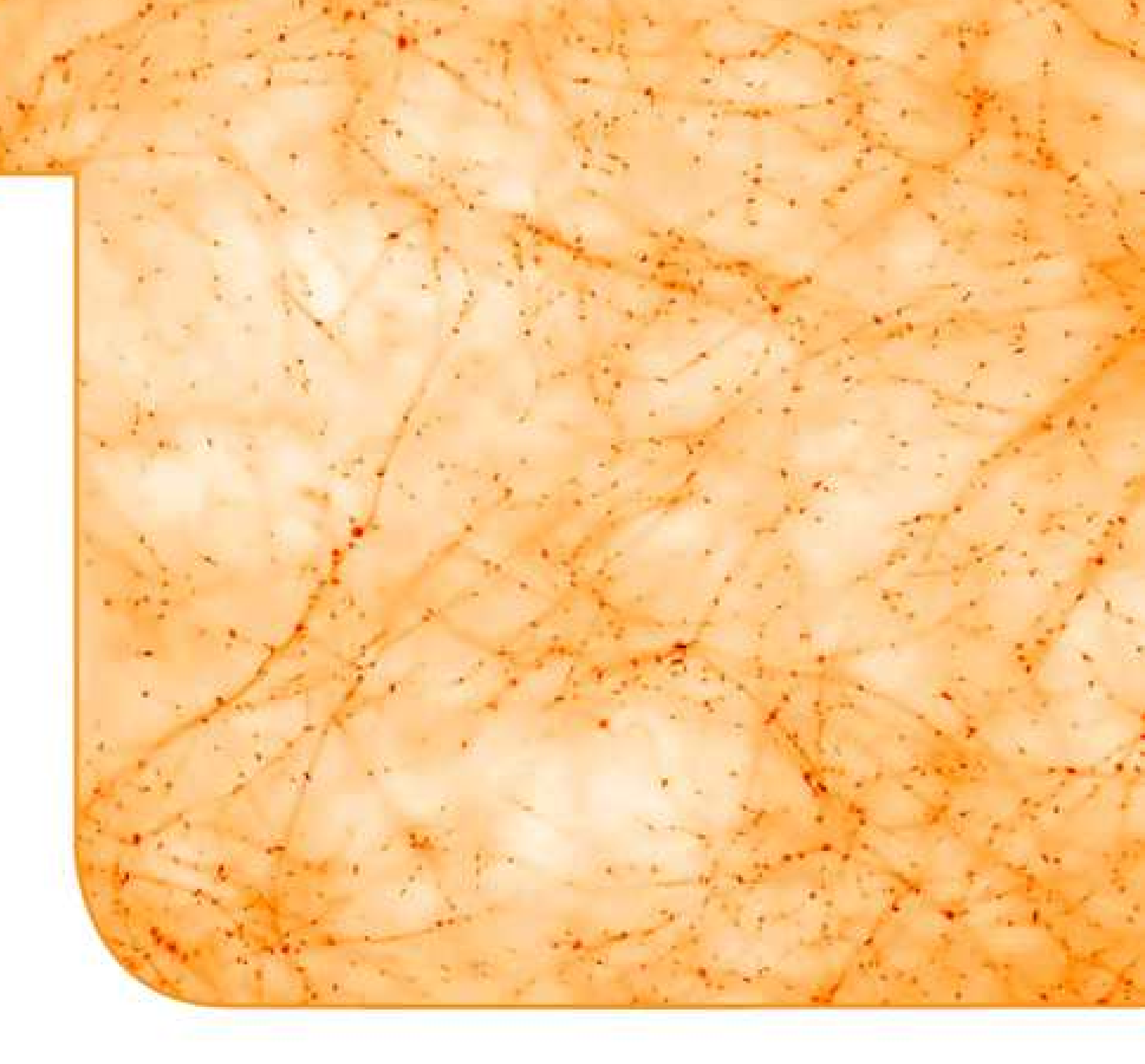
ماتَ رسولُ اللّه ﷺ، وفاضت روحه الطّاهرة إلى بارئها، فبَكَته العُيون، وحزنت عليه القلوب، وأظلمت الدّنيا على صحابته الكرام رضي الله عنهم، واشتدّ الخطب عليهم لفراقه، حتّى أنكروا أنفسهم بعد دفنه، وقد سبق وفاتَه ﷺ:

* لوائحُ التّوديع:

وهي علامات تُشير إلى قُرب أجله، ودُنُوّ وفاته، نذكر منها:

□ أنّ اللّه تعالى نعى إلى رسولِ اللّه ﷺ نفسَه، وأخبر بموته، في آيات من الذّكر الحكيم، فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30]؛ وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: 34]؛ وبعد أنْ أقرّ اللّه تعالى عين نبيّه ﷺ بالفتح المبين، ودخول النّاس في دين اللّه أفواجًا، نَزلت عليه سُورة النصر - التي تُسمّى سُورة التّوديع - إشعارًا بأنّه قد حصل مقصود ما أُمِر به من أداء الرّسالة والتّبليغ، فانتقالُه إلى الدّار الآخرة حينئذ خيرٌ له من البقاء في الدّنيا الفانية: أخرج البخاري (4970) عن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُني مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسه فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَاني يَوْمَئِذٍ إِلاَّ لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللّه تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ وَذَلِكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ فَقَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلاَّ مَا تَقُولُ».

□ نعى رسولُ اللّه ﷺ نفسَه للنّاس، وأعلمهم بقُرب وفاته:



فقـد جاء في خُطبة حَجّة الـوداع[1] قولُه ﷺ: «لِتَأْخُذْ أُمَّتِي نُسُكَهَا، فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّـي لا أَلْقَاهُـمْ بَعْدَ عَامِي هَـذَا»[2] وفي رواية قـال: «لِتَأْخُـذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»[3].

ونعـى ﷺ نفسَـه لابنتـه فاطمـة رضي الله عنها: أخـرج الدّارمـي (80) عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: 1] دَعَـا رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ فَقَالَ: «قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي» الحديث[4].

□ ومـن لوائح التّوديع: عَرْض النّبي ﷺ القـرآنَ علـى جبريل عليه السلام مرّتين في العـام الـذي تُـوفّي فيـه، على خلاف عادته: أخرج البخاري (3624) ومسلم (2450) عـن عائشـة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أسـرّ إلى ابنته فاطمة رضي الله عنها: «إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُـرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَـرَّةً، وَإِنَّـهُ عَارَضَنِي الْعَـامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلاَّ حَضَرَ أَجَلِي...» الحديث.

□ وفي حجّـة الـوداع، وبعرفـة، وفي يـوم جُمعـة: نـزل قولـه تعـالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: 3]. كمـا في «صحيـح البخاري» (45) عَـنْ طَارِقِ بْـنِ شِهَابٍ عَـنْ عُمَرَ ابْـنِ الخَطّـاب رضي الله عنه في قصّـة الرّجل اليهودي السّائل عن هذه الآية.

فحينهـا استشعـر كبـار الصّحابـة رضي الله عنهم وفـاةَ النّبـيّ ﷺ؛ لأنّه ليس بعد الكمال إلاّ النّقص، ولقد قيل:

إذا تَمّ شيءٌ بدا نَقصُه

تَرقّبْ زوالاً إذا قيل تَمّ

□ وكان ﷺ يُشـير لأصحابه بقُرب وفاتـه، فـكان أفهمَهـم لقولـه وأعلمَهم بإشاراتـه: صدِّيقُ الأمّة أبو بكر رضي الله عنه: أخـرج البخـاري (466) ومسلـم (2382) عَـنْ أَبِـي سَعِيـدٍ الْخُـدْرِيِّ رضي الله عنه قَـالَ: خَطَـبَ النَّبِـيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَـيَّرَ عَبْـدًا بَيْنَ الدُّنْيَـا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيـقُ رضي الله عنه، فَقُلْـتُ فِي نَفْسِـي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَـيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَـكَانَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ هُـوَ العَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا... الحديث.

□ ومـن شـأن كُلّ مُفـارِق أنْ يُـودّع حبيبـه بوصيّـة، وهذا الذي فعلـه النّبيّ ﷺ مـع أصحابه رضي الله عنهم بهـذه الوصيّة الجامعـة والموعظـة البليغة: أخـرج أبو داود (4607) والتّرمـذي (2676) وابـن ماجـه (42) عـن العِرْبَاض بن ساريـة رضي الله عنه ـ وكان مـن البكّائيـن ـ قال: صَلَّـى بِنَا رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ الغداة، ثُـمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بوجهـه، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَـتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُـوبُ، فَقَالَ رجلٌ: يَـا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُـوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَـدُ إِلَيْنَا؟ فَقَـالَ: «أُوصِيكُـمْ بِتَقْـوَى اللَّهِ وَالسَّمْـعِ وَالطَّاعَـةِ، وَإِنْ عَبْـدًا حَبَشِيًّـا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُـمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَـاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِيـنَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّـوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ».

□ كمـا أشـار ﷺ لمعـاذ رضي الله عنه بالفراق الأليم الـذي تأثّر له كثيرًا حتّى بكى حُزنًا: أخرج أحمد (22052) عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلى الْيَمَـنِ خَـرَجَ مَعَـهُ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ يُوصِيـهِ وَمُعَـاذٌ رَاكِـبٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي تَحْـتَ رَاحِلَتِه، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: «يَـا مُعَاذُ! إِنَّكَ عَسَـى أَنْ لا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَـذَا وَقَبْرِي» فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعًـا لِفِرَاقِ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِه نَحْوَ الْمَدِينَـةِ فَقَـالَ: «إِنَّ أَوْلَى النَّـاسِ بِي الْمُتَّقُونَ، مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا».

❊ بداية مرضه ﷺ:

في نهايـة شهر صفر مـن عام إحدى عشرة للهجرة النّبويّة بدأ رسولُ اللّه ﷺ يشكو من الصُّـداع، ويشتدُّ به المرض مع مُـرور الأيّام: أخرج البخـاري (3053) ومسلم (1637) عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ؟ ثُـمَّ بَكَى حَتَّى خَضَـبَ دَمْعُـهُ الْحَصْبَاءَ، فَقَـالَ: اشْتَدَّ بِرَسُـولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ، فَقَـالَ: «ائْتُونِي بِكِتَـابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا» فَتَنَازَعُوا، وَلاَ يَنْبَغِـي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَـازُعٌ، فَقَالُوا: هَجَرَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «دَعُـونِي، فَالذي أَنَا فِيهِ خَـيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْـهِ» وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِه بِثَلاَثٍ: «أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ

(1) التي كانت في السّنة العاشرة، وسُمّيت كذلك: لأنّه ﷺ ودّع فيها النّاس.
(2) أخرجه ابن ماجه (2023) عن جابر رضي الله عنه.
(3) أخرجـه مسلـم (1297) وأبو داود (1970) عن جابر رضي الله عنه.
(4) حسّنه الألباني، انظر: «مشكاة المصابيح» (1684/3).

جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَأَجِيزُوا الوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ» وَنَسِيتُ الثَّالِثَةَ.

❊ اللحظات الأخيرة:

دام مرض رسول الله ﷺ ثلاثة عشر يومًا[5] وفي يوم الإثنين من شهر ربيع الأوّل لعام إحدى عشرة من الهجرة عند الضُّحى، توفي رسول الله ﷺ وعُمره: ثلاثٌ وستّون سنة[6]: روى البخاري (680) ومسلم (419) عن أَنَس بْن مَالِك الأَنْصَارِي رضي الله عنه -وَكَانَ تَبِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَخَدَمَهُ وَصَحِبَهُ-: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ ﷺ الذي تُوُفِّيَ فيه، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الإِثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ، كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنَ الفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَارِجٌ إِلَى الصَّلَاةِ، فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ، وَأَرْخَى السِّتْرَ، فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ» وفي رواية لمسلم (419) قال أنس رضي الله عنه: «آخِرُ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَشَفَ السِّتَارَةَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ».

فتفكير النّبيّ ﷺ كان مُنصرفًا إلى أُمّته، حيث فرح حينما رأى أصحابه رضي الله عنهم يُصلّون خلف إمامهم، وقد اتّفقت كلمتهم، واجتمعت قلوبهم، فتبسّم يضحك؛ لأنّه رأى منهم ما يَسرُّه، ويُطمئن قلبه، فشاء الله تعالى أنْ يكون آخرُ مَشهد يراه رسول الله ﷺ من أمّته: هو مَشهد الصّلاة جماعةً في المسجد، فعلى المسلمين أنْ يبقوا على العهد الذي فارق رسول الله ﷺ عليه الدّنيا وهو عنه راضٍ، يبتسم من أجله.

وأخرج البخاري (4449) عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي[7]، وَأَنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «أَنْ نَعَمْ» فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «أَنْ نَعَمْ» فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ، وَمَالَتْ يَدُهُ. وفي رواية عند أحمد (26347) قالت: «وَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَثْقُلُ فِي حِجْرِي، قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ فَإِذَا بَصَرُهُ قَدْ شَخَصَ، وَهُوَ يَقُولُ: «بَلِ الرَّفِيقُ الأَعْلَى مِنَ الجَنَّةِ» فَقُلْتُ: خُيِّرْتَ فَاخْتَرْتَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، قَالَتْ: وَقُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ».

❊ مات رسول الله ﷺ مسمومًا وبفعل اليهود:

أخرج البخاري (4428) -تعليقًا- ووصله الحاكم (4393) عن عَائِشَةَ رضي الله عنها: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «يَا عَائِشَةُ! مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي[8] مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ».

وأخرج أبو داود (4512) عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ، وَلا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ». وقال أبو داود: حَدَّثَنَا وَهْبُ ابْنُ بَقِيَّةَ -فِي مَوْضِعٍ آخَر- عَنْ خَالِدٍ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ -وَلَمْ يَذْكُرْ أَبَا هُرَيْرَةَ- قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ، وَلا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ» زاد: فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا، فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا وَأَكَلَ القَوْمُ، فَقَالَ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ، فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ» فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ البَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الأَنْصَارِيُّ، فَأَرْسَلَ إِلَى اليَهُودِيَّةِ: «مَا حَمَلَكِ عَلَى الَّذِي صَنَعْتِ؟» قَالَتْ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقُتِلَتْ، ثُمَّ قَالَ -فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ-: «مَازِلْتُ أَجِدُ مِنَ الأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي»[9].

---

(5) هذا قول الأكثرين، وقيل بزيادة يوم، وقيل بنقصه، انظر: «الفتح» (129/8).

(6) انظر: «صحيح البخاري» (3536، 3902)، «صحيح مسلم» (2348، 2349، 2351، 2352).

(7) أي: بين صدري وعُنقي، والسَّحر: هي الرّئة وما تعلّق بها.

(8) الأَبْهر: عرق مُستبطن بالظّهر، مُتّصل بالقلب، إذا انقطع مات صاحبه.

(9) وهذا مُرسل حسن إلى التّابعي أبي سلمة، انظر: «تحقيق مُسند أحمد» (568/6)، «صحيح سنن أبي داود» للألباني.



وأخرج أحمد (3617) عَنْ عَبْدِ اللهِ ابنِ مسعود رضي الله عنه قَالَ: «لأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ تِسْعًا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قُتِلَ قَتْلًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ وَاحِدَةً، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا، وَجَعَلَهُ شَهِيدًا».

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (211/4): «قال ابن هشام: فَإِنْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَيَرَوْنَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَاتَ شَهِيدًا، مَعَ مَا أَكْرَمَهُ اللهُ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ».

وفي هذا دلالة واضحة على حسد اليهود وحقدهم على الإسلام ونبي الإسلام ﷺ، وجَعَل الله تعالى موت نبيّنا ﷺ على يد اليهود: لننابذهم العداوة ما حيينا، ثُمّ نورثها أبناءنا من بعدنا:

أساجلك العداوة ما بقينا
وإنْ متنا نُورثها البنينا

* شدّة تأثُّر الصّحابة وآل البيت رضي الله عنهم لفراق الرّسول ﷺ:

لمّا ذاع هذا النّبأُ المُحزِن بين الصّحابة رضي الله عنهم: أظلمت عليهم الدُّنيا حزنًا على فراق رسول الله ﷺ، وأصاب النّاسَ دهشة، حتّى إنّ منهم مَن لم يُصدّق بالخبر: أخرج البخاري (4454) عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ ابْنُ الخَطَّابِ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ! فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، قَالَ اللهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144] وَقَالَ: وَاللهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلاَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلا يَتْلُوهَا. فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ: «وَاللهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلاَهَا فَعَقِرْتُ[10] حَتَّى مَا تُقِلُّنِي[11] رِجْلاَيَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلى الأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلاَهَا، عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ».

وأخرج التّرمذي (3618) وابن ماجه (1631) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الذي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الذي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الأَيْدِيَ وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا».

وأخرج البخاري (4462) عن أنس رضي الله عنه قَالَ: ... فَلَمَّا دُفِنَ - أي: رسول الله ﷺ - قَالَتْ فَاطِمَةُ: «يَا أَنَسُ! أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ التُّرَابَ؟!».

(10) بفتح العين: أي: دهشتُ وتحيّرتُ، وبضمّها بمعنى: هلكتُ.
(11) أي: لا تَحْمِلُني.

* بعض الفوائد والعبَر من مُصيبة موت سيّد البشر ﷺ:

□ إنّ من عدل الله عز وجل ورحمته وحكمته البالغة أنْ كتب الفناء على كُلّ مخلوق حيّ، لا فرق في ذلك بين رفيع ووضيع، وغنيّ وفقير، وكبير وصغير، ولا بين نبيّ وغيره؛ لئلاّ يفتتن النّاس به، ولربما عبدوه من دون الله تعالى.

□ النّبوّة لا تدرأ الموت، والدّعوة إلى الله تعالى لا ترتبط بالأشخاص، والدِّين لا يزول بموت الأنبياء، فالواجب التّمسّك بما جاءت به الرّسل وإن فُقدوا وغُيّبوا، هذا في حقّ الأنبياء والرّسل فكيف بمَن دونهم من العلماء والدّعاة؟! لذا من الخطأ أنْ يُظنّ بأنّ ظُهور الإسلام وانتشاره مُتوقّف على فلان أو علان، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 33]؛ يذهب الأشخاص، ويموت الرِّجال، ويُقيّض الله تعالى لهذا الدِّين القويم مَن يحمله جيلاً بعد جيل.

□ من فضل الله تعالى على عباده: أنّه لم يَقبض نبيّهم ﷺ حتّى أكمل به الدّين، وأتمّ لهم النّعمة، وترك أمّته على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاّ هالك.

□ في موت النّبيّ ﷺ قبل أُمّته رحمةٌ لهم: أخرج مسلم (2288) عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ».

□ وفي موت سيّد البشر وخير الخلق أجمعين، نبيِّنا ﷺ: حقيقةٌ مُهمّة، وهي أنْ لا ألوهيّة إلاّ لله تعالى، الحيّ القيّوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، فهو الحيّ الباقي. ولو كان أحدٌ من البشر يُستثنى من الموت: لكان هذا النّبيّ المصطفى ﷺ، الذي اختار - لمّا خُيِّر - الرّفيقَ الأعلى وجوار ربّه على البقاء في الدّنيا، بعد أن بلّغ الرّسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمّة. ولو كتب الله تعالى لحيّ أنْ يَخْلد لكان أحقَّ بالخُلود الأنبياء والرّسل، لما لهم من الفضل على مَن سواهم.

ولله درّ مَن قال:

لو كانت الدُّنيا تدوم لأهلها

لكان رسول الله حيًّا وباقيًا

لكنّها حقيقة صرّح بها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 57].

□ موتُ النّبيّ ﷺ أعظم المصائب التي حلّت بالأمّة الإسلاميّة، وفيه عزاءٌ من كلّ مُصيبة، فمَن تذكّر موته ﷺ هانت مصائبه وخفّت خُطوبه:

أخرج ابن ماجه (1599) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: فَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاس، أَوْ كَشَفَ سِتْرًا، فَإِذَا النَّاسُ يُصَلُّونَ وَرَاءَ أَبِي بَكْر، فَحَمِدَ اللهَ عَلَى مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ حَالِهِمْ، وَرَجَا أَنْ يَخْلُفَهُ اللهُ فِيهِمْ بِالَّذِي رَآهُمْ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَيُّمَا أَحَد مِنَ النَّاس - أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - أُصِيبَ بِمُصِيبَة، فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِه بِي عَنِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي، فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي».

قال الشّاعر:

اصبرْ لكلِّ مُصيبة وتَجلَّد

واعلَم بأنَّ المرء غيرُ مخلَّد

وإذا أتتك مُصيبة تشجى لها

فاذكر مُصابك بالنَّبيِّ محمَّد

وقال آخر:

تذكَّرتُ لمَّا فرَّق الدَّهر بيننا

فعزَّيتُ نفسي بالنَّبيِّ محمَّد

وقلتُ لها: إنَّ المنايا سبيلنا

فمن لم يمت في يومه مات في غد

وقال ثالث:

إذا حلَّتْ بساحتك الرَّزايا

فلا تجزعْ لها جزْع الصَّبيّ

فإنَّ لكلِّ حادثة عزاء

بما قد كان من فَقْد النَّبيّ

□ تأمّل في موقف الصّحابة رضي الله عنهم مع عظم ما نزل بهم، حتى أُقعدوا عن القيام، وأُخرسوا عن الكلام، إلاّ أنّ ذلك لم يجعلهم يخمشون وجهًا، أو يشقّون جيبًا، أو يلطمون خدًّا، أو يُسمع لهم صوت نائحة أو تسخّط، بل أدَب إسلامي رفيع، وصبر واحتمال، واحتساب للأجر عند الله تعالى.

□ وحين تُوفّي رسول الله ﷺ كان بين أحبّ النّاس إليه، وبين أفضل القُرون وخير الخلق بعد الأنبياء، وكانوا يُحبّونه أكثر من حُبّهم أبناءهم وآباءهم وأزواجهم وأنفسهم والنّاس أجمعين، ومع ذلك لم يُقيموا له أربعينيّة، ولم يُخلِّدوا ذكراه - كما يقولون - بإحياء مولده، ولم يقفوا على روحه دقيقة صمت، ولم يُنكّسوا الرّايات والأعلام، ولم يُعطّلوا الأعمال فرضي الله عنهم وأرضاهم.

ولمّا دفنوه ﷺ ما رفعوا له قبرًا، ولا وضعوا له سترا، ولا أوقدوا له شمعًا، وسار الأمر على ذلك مئات السّنين، حتّى خلف من بعدهم خلفٌ غيّروا وبدّلوا، واخترعوا وابتدعوا، فإلى الله المشتكى.

□ مات النّبيّ ﷺ ولم يُخلّف دينارًا ولا درهمًا يُورث؛ بل توفّي ودرعه مرهونة عند يهوديّ[12]، وهو ما يعني أنّ الأنبياء - عليهم الصّلاة والسّلام - لم يُبعثوا لجمع الأموال، بل أُرسلوا لهداية النّاس وإخراجهم من الظّلمات إلى النّور بإذن ربّهم، وإنّما ورّثوا العلم النّافع، فمَن أخذه أخذ بحظ وافر.

□ ما عند الله تعالى خيرٌ لرسول الله ﷺ: قال تعالى: ﴿وَلَلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى: 4].

أخرج مسلم (2454) عن أَنَس رضي الله عنه قَالَ: «قَالَ أَبُو بَكْر رضي الله عنه بَعْدَ وَفَاة رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ رضي الله عنه: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ[13] نَزُورُهَا، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيك؟ مَا عِنْدَ اللهِ خَيرٌ لِرَسُولِه ﷺ، فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيرٌ لِرَسُولِه ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الوَحْيَ قَد انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى البُكَاءِ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا».

(12) انظر: «صحيح البخاري» (2916).

(13) هي حاضنة النّبيّ ﷺ، واسمها بركة بنت ثعلبة، صحابية جليلة، وهي والدة أسامة بن زيد، ماتت في خلافة عثمان رضي الله عنه أجمعين.



تجديد لا إله إلاَّ الله

أحمد معمر
ليسانس في علوم الشريعة - تيارت



من العَجَب أنَّ العنَاوين الَّتي تَتَّصل بتَقرير عَقيدَة التَّوحيد، أَضحَت لا تَتَمتَّع بوَهَج كَافٍ لاجتذَاب القرَّاء، ولم تَعُد تستثير اهتماماتهم، ومردُّ ذلك إلى أنَّنا نشعر بشِبَع مَوهُوم من حَصيلَة الاطِّلاَع علَى مفرَدَات التَّوحيد ومفَاهيمه، حتَّى جعل بعضُنا يُسَاورُه التَّذمُّر من تكثيف الحديث وتوسيع أطرافه، في مثل هذه القضايا بعد أن صارت جليَّةً مفهومةً!!

وفي طرف آخر مقابل؛ عكفَ كثيرٌ منَّا على مُتونٍ في التَّوحيد والعقيدة، وقصروا هِمَمهُم علَى حفظ حروفها وضبط ألفاظها، ظانِّين أنَّ من حَفظَ لفظَها وأَحْسَنَ عَرْضَها فقد تمَّ توحيده، ومن ضَعُفَ حفظُهُ لها نَقَصَ من توحيده مثل ذلك!! كما لا يرون التَّوحيد أكثر من تعريفات وتقاسيم وشروط، تصحِّح أقوالَ النَّاس وأَفعالَهم في مجال العقيدة بشَكل تَجرِيدي فَحَسب!

وكلا الفريقين غفل عن جوهر التَّوحيد وحقيقة مقاصده، الَّتي تَتَجاوَزُ الألفاظَ والحروفَ إلى المعاني السَّامية والحقائق الرَّاقية، وحصروه دون شُموليَّة أصوله الممتدَّة إلى فروع شاسعة، تستوعب مجالات الحياة والممات، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [سورة الأنعام].

طبعًا لا نريد أن نقول لمن يستهين بالتَّوحيد أو يدَّعي فهمَه ووضوحَه، أنَّ التَّوحيد معادلةٌ صعبةٌ! أو أنَّه مفاهيم ومصطلحات عسيرةٌ! بل عقائد الإسلام على العكس من ذلك، فهي حَنيفيَّةٌ سَمحَةٌ مَيسُورةٌ، لا لَبسَ فيهَا ولا عُورَة! ولكن نريد أن نُنبِّه إلى أنَّ للتَّوحيد مراتبَ ومقتضيات، والتزامات وتبعات، تصلُ الظَّاهرَ بالباطن، وتُوثِّقُ القولَ بالعمل، وتربطُ بين القلب والقالب، ونؤكِّد على أنَّه عقيدة راسخةُ الأركان بأعمال القلوب، تتبدَّى في أقوال اللِّسان وأعمال الجوارح.

إنَّ التَّوحيد الحقيقي هو أن نتعلَّم معاني (لا إله إلاَّ الله) بمفهومها التَّطبيقي العَمَلي، الَّذي يتجلَّى في مظاهر حياتنا، ويتفاعل مع إحداثيَّات واقعنا، ويشارك في صياغة وتحسين أوضاعنا، كما كان السَّلَف الصَّالح يَفهمُونها ويَستَقون منها أعمالهم وأقوالهم، ويصوغون مُقتَضَياتها في مشاريع عمليَّة دعويَّة، حتَّى اصطبغت بها حياتهم، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [سورة البقرة]، فهم قد أدركوا أنَّها عقيدةٌ ثابتةٌ، يدعمها علمٌ نافعٌ وعملٌ صالحٌ، قَبل أن تكون مجرَّد كَلمَة تُردَّد على الألسُن، كما قال تَعَالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة فصلت]، أمَّا مَا مُنيَ به الخَلف فهُو الانفصَام المهلك، الَّذي عَزَل سُلطَة عَقيدة التَّوحيد عن أفعَالنا ومَواقفنَا وأخلاقنَا، وتلاشت معه العلاقة بين صحَّة التَّصوُّرات وسلامة التَّصرُّفات، حتَّى أضحت عقيدةُ لا إله إلاَّ اللهُ - عند كثير منَّا - منهَجًا بلا التزَام، وأحكَامًا بلا احتكَام!

وكمثال على ذلك أنت ترى في المسلمين اليوم، الموظَّف الَّذي يَستغلُّ ما تحت يده - ممَّا خُصِّصَ للمصلحة العامَّة - لقضاء حاجته الخاصَّة، والبَائع الَّذي يُخفي عيبَ سلعته أو يطفِّف في المكيال، والعامل الَّذي يغُشُّ عملاءَه، والمعلِّم الَّذي يستغفل المتعلِّمين ولا يُتقنُ تعليمَهم، والطَّبيب الَّذي لا يَفي بما يستحقُّه علاجُ مريضه، وَكلُّهم يشهد أنَّه لا إله إلاَّ الله، وأنَّه لا يخاف إلاَّ الله، ولا يشرك معه أحدًا، ويحسبون أنَّ توحيدَهم لربِّهم تامٌّ مكتملٌ! ولا يشعرونَ - لذُهُولهم عن التزَامَات التَّوحيد - بأيِّ علاقة عَمليَّة، تَربط بَين تَوحيدهم ومُمارَساتهم ومهَنهم اليَوميَّة!!

وهذا ما يُسفر عن ضرورة قُصوَى، تَدفعنا إلى تجديد معاني لا إله إلاَّ الله في نفوسنا وعباداتنا وأخلاقنا، بعد أن لحق إيمانَنَا بمعانيها البلَى، وخفت تأثيرها في حياتنا، ولقد قال ﷺ: «إنَّ الإيمانَ لَيَخْلَقُ في جَوْفِ أحدِكُمْ كما يَخْلَقُ الثَّوبُ، فاسْأَلُوا اللَّهَ تعالى أن يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلُوبِكُمْ»[1].

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية الَّذي كان إذا أُثنيَ عليه في وجهه يقول: «والله إنِّي إلى الآن أجدِّدُ إسلامي كلَّ وقت، وما أَسلَمْتُ بعدُ إسلامًا جيِّدًا»![2].

وفيما يلي من الأسطر سأسعى مع القارئ النَّبيه إلى جولة في بضع محطَّات، نحاول أن نستوقف قلوبنا عندها، لنستكشف حالنا مع جملة من معاني (لا إله إلاَّ الله)، ونقيس أثرَ توحيدنا ومستوى فاعليَّته، في تفاصيل حياتنا ومدار اهتماماتنا، في النِّقاط التَّالية:

- ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [سورة النحل]: شهادة أن لا إله إلاَّ الله؛ قرارٌ صارم بالتَّخلِّي والكُفر بكُلِّ مَا سوَى الله، فهي تعني تمامَ الانسلاخ من عبوديَّة كلِّ هوى، وعدم الخضوع لسلطان أيِّ شهوة، والاستسلام محبَّةً وذلاًّ لله، بإخلاص ويقين، ولهذا فـ(لا إله إلاَّ الله) معناها أنَّنا لا نتَّقي إلاَّ الله، قال سبحانه: ﴿أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [سورة النحل]، ومن معاني التَّوحيد أن نُفردَ الله ونوحِّده بالتَّقوى كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة المدثر]، هكذا تسري معاني لا إله إلاَّ الله من القلب إلى الجوارح فيدبُّ فيها إجلالُ الله وإفرادُه بالخشية، فيُصبح المؤمن بلا إله إلاَّ الله، يَستَحيي قلبه وتَسكن

(1) أخرجه الحاكم والطَّبراني، وهو في «الصَّحيحة» (1585).
(2) «مدارج السَّالكين» (520/1).

جَوارحُه، خشوعًا لله وخضوعًا لعظمته، فلا تُقارب نَفسُه ريبَةً ولا تُقارف مُحرَّمًا؛ لأنَّها مُوقنَةٌ باطِّلاع الله عليها، ورقابته لهـا في كلِّ زمان ومكان، تحقيقًا وامتثالاً لكلمة التَّقوى الَّتي هي: (لا إله إلاَّ الله)، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: 26]، فمقتضى التَّوحيد التَّحرُّرُ مـن عُبوديَّة الهوى ورقِّ الشَّهوات، والفـرار إلى الله بالإنابة إليه والاستسلام لأوامـره، ومن وقع في اتِّباع الشهـوات، وقدَّم هـواه على طاعـة ربِّه فذلـك لنقصانٍ في توحيده، وتَقصيرٍ في التزامـه بمقتضياتـه، ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: 43].

وإذا كانـت لا إله إلاَّ الله تعني أنَّنا لا نَخـاف إلاَّ منَ الله، إفـراداً لله بالخوف من عظيـم قدرتـه وشديد بطشـه، فما بال أحدنا يـذر أشياء خوفًا من المرض، ويتفادى كثيرًا من الأمور في تجارته خوفًا من شبح الخسـارة والفقر، ويمنع نفسه مـن مقارفة أعمالٍ خوفًا مـن المسؤول، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: 77]، لكنَّـه في كثيرٍ من الأحيان لا يشهد قلبه ولا تستحضر نفسه رقابـةَ ربِّه وعلمَه به حـالَ انتهاك بعض المحرَّمـات، أو التَّفريـط في الواجبـات! والله عز وجل يقـول: ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [التوبة]، وفي الحديـث قال ﷺ: «وَرَجُلٌ دَعَتْـهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ»[3] فتحرَّك في قلبه توحيـده لربِّه بعبادة الخـوف والخشية، «فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ».

♦ ♦ ♦

■ ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه]: مـن استقرَّت في قـرارة قلبـه حقيقة لا إلـه إلاَّ الله لا يملك قلبه ورجليْه إذا أذَّن منـادي الصَّلاة؛ لأنَّـه سيجد في قلبه ما يستحثُّـه ويقوِّيـه على رمـي الخطى إلى بيـت الله الَّـذي يشهـد لـه بوحدانيَّتـه وألوهيَّتـه، حتَّى يقيـمَ في المسجد ركوعَه وسجـودَه لله، ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾، فالموحِّـد لا يَعبـد إلاَّ الله، ولا يخشـى إلاَّ الله، وهو ما يدفعـه دفعًا لإجابة النِّداء، وعمارة بيت الله، كمَا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: 18]، وإذا قام مُصلِّيًا بين يَدَي الله، فاضت عقيدةُ **التَّوحيـد في صلاتـه، خشوعًـا في القَلب وسُكونًا علـى الجوارح، فتراه خاضعًا في ركوعـه، مُخْبِتًا في سجـوده، مستحضرا وحدانيةَ ربِّه وعظيمَ جلاله، فإنَّ الصَّلاة** مـن أعظم مظاهر توحيـد الله بالعبادة رغبةً ورهبةً، حبًّا وتذلُّلاً، يوحِّدُه المصلِّي في تَكبيره وتَسبيحـه وتَحميده وتَمجيده، وركُوعـه وسُجـوده، ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت]، وبقدر توحيد العبد لربِّـه، يكـون قلبُـه خاشعًـا حاضـرًا في صَلاتـه ودُعائـه، سابحًا في بحـر صِلَته بربِّه، مُتلـذِّذًا بنسائم قُربـه من ربِّه في سَجدَتـه، منصرفًـا عـن حـبِّ كلِّ شيءٍ إلى حـبِّ الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: 165]، أَمَّـا الشَّـوق إلى الصَّـلاة والخشـوع فيهـا، فهـو مقياس آخـر لمـدى تَوحيدنـا لخالقنـا بالمحبَّة، «فإنَّ حَقيقَةَ التَّوحيد انجِذَابُ الرُّوح إلى الله جُملَةً»[4].

■ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [التوبة: 129]: الموحِّـد إذا مسَّـه ضرٌّ أو حلَّـت به مُصيبَـة، أو دارت بـه ضَائقة، هرع قلبـه إلى ربِّه قبل لسانـه، مستغيثًا مستجـيرًا، راغبًـا طامعًـا في فَضل الله وامتنَانـه، مُوقنًـا أن لا عاصـمَ إلاَّ الله، ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: 65]، فكلمـة التَّوحيد تعني عنده أنَّه لا مُجيرَ ولا مُعينَ إلاَّ الله، ولا قادر ولا قويَّ إلاَّ الله، ولذلك **يتوجَّـه قلبه بكلِّيَّته إلى ربِّه، مُتوكِّلاً عليه مُنصَرِفًـا عن التَّعلُّق بغيـره، استسلامًا لقَولـه تَعـالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى**

(3) البخاري (1423)، مسلم (1031).

(4) «فتح المجيد» (50).

اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سُورَةُ التَّغَابُنِ]، أمَّا عندما تتهاوى عقيدةُ التَّوحيد؛ فإنَّ البائس المريض يرتمي إلى حول الطَّبيب، ويستغيثُ الفَزِعُ الكَسير بالحاكم والمسؤول، ويركن المظلوم إلى القَاضي والمحامي، ويستجير الفقير بثراء الموسرين، قُلُوبهم إلى أمثالهم من الخلق مُنْصَرِفَة، وإلى الاعتماد على الأسباب الماديَّة مُتلهِّفة، وأبصارهم عن حَولِ رَبِّهم وقُوَّته مُنكَسِفَة!! ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [سُورَةُ يُونُسَ]، فالواجب توحيدُ الله تعالى في الاعتماد والتَّوكُّل عليه، مع فعل الأسباب دون رُكُون القَلب إليها، والتَّعلُّق بها إلى حَدٍّ ينسينا أنَّها مجرَّد سَبَب![5].

♦♦♦

■ ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [البَقَرَة : 262]: مَنْ آمَنَ قلبُه وعَمُر بحقيقة (لا إله إلاَّ الله)، انعتقت نفسه من عبوديَّة الدِّرهم والدِّينار، وجادت بما تملك مُسَارعةً إلى رضى مَنْ توحِّدُه في عبادتها، وتُخلص له في إنفاقها وصَدقتها، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ]،

فالنَّفس الموحِّدة المتوجِّهة بعبوديَّتها لله وحده، تُؤْثِرُ مَحبَّته على محبَّة المال، وهذا نهجُ الموحِّدين؛ فإنَّ الله ﷻ لمَّا قال عن المؤمنين ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سُورَةُ المُؤْمِنُونَ]، ذكر عنهم بعد آية قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سُورَةُ المُؤْمِنُونَ]، وفي آية أخرى ذكر الله تعالى أنَّ من صفات المؤمنين الصَّادقين في توحيدهم وإيمانهم، إيثارَ إخوانهم المُوحِّدين على أنفسهم فقال سبحانه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ]، مَنْ وحَّد الله يستحيي من ربِّه الّذي نعَّمه وأعطاه، أن يبخَلَ بماله على عباده، كيف وهو يوقن بوعد الله للمُنْفقين، بحسن الخلف وجزيل الثَّواب في الدَّارين.

♦♦♦

■ «أَخلاقُ لاَ إِلَهَ إلاَّ الله»: إنَّ فَهمَنا القاصر للتَّوحيد علَى أنَّه مجرَّد عقيدة قلبيَّة! أغفلنا عن التَّفكير في ارتباط التَّوحيد بحسن السُّلوك وفَضَائل الأخلاق، مَعَ أنَّ لعَقيدَة الإيمَان والتَّوحيد جُملةً من الأعمال والأقوال القَلبيَّة مثل المحبَّة والصِّدق والإخلاص، **والإنَابة والخَشيَة، وهي كلُّها مَشَاعر إيمانيَّة تَضبط النَّفس بالأخلاق النَّبيلَة، والخِلال الجَميلَة، فصدق إيماننا في توحيدنا لربِّنا يُتَرجِمه الموحِّد إلى الصِّدق في الأقوال والعهود، وتوحيده** لله بالخشية والإنابة والتَّقوَى يطهِّره من رذائل الأخلاق، وينزِّهه عن قبيح الصِّفات، ولذلك فهو لا يَحسُد ولا يَفجُر! ولا يغتاب ولا يكذب! لأنَّه يوحِّد ربَّه في الخوف والخشية والرَّهبة منه، وهو صادقُ الوعد، كريمُ الخلق، طيِّبُ الكَلام؛ لأنَّه يُوحِّد ربَّه بالمحبَّة والرَّجاء، والصِّدق والإخلاص، ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [سُورَةُ الحَجِّ].

وفي غير ما آية يعطف ربُّنا ـ تبارك وتعالى ـ على الأمر بالتَّوحيد والنَّهي عن الشِّرك، الأمرَ بالإحسان والخُلُق الجميل في معاملة الوالدَيْن والأقْربين والجيران وابن السَّبيل، وبعد أن أمر الله المؤمنين بردِّ التَّحيَّة قال عقبها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النِّسَاء : 87]، وفيه تذكير بالعلاقة بين التَّسليم بوحدانيَّة الله، والإيمان باليوم الآخر كعقيدة، وردِّ التَّحيَّة كسلوك.

يروى أنَّ الحسن البصري قال للفرزدق وهو يدفن امرأته: «ما أعددتَّ لهذا اليوم؟» قال: «شهادة أن لا إله إلاَّ الله، منذ سبعين سنة»، فقال الحسن: «نِعمَ العُدَّة، لكن لـ «لا إله إلاَّ الله»

(5) راجع لزامًا «القَول المفيد» لابن عُثَيمين، شرح حَديث: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْه» من البَاب الثَّامن.

شروطًا، فإيَّاك وقذفَ المحصنة!».

يجـب علينـا أن نَسُـدَّ الفجـوة بـين عقيـدة التَّوحيد وأخلاقنـا ومعاملاتنا، وذلـك باستحضـار لـوازم إيماننـا وما يمليه علينا صـدقُ توحيدنا، لنخرج من دائـرة ادِّعـاء التَّوحيد إلى حيِّـز العمل بالاستقامة على التَّوحيد، عبادةً وخُلُقًا، كمـا قـال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [فُصِّلَت: 30]؛ لأنَّ التَّوحيد النَّافع هو الَّذي يُورثنا استعدادًا للاستقامـة، وجاهزيَّـةً لالتـزام التَّقوى والأخـلاق الفاضلة، وقـد ذكَر الله ﷻ المؤمنين بـأنَّ قضيَّة الإيمـان والتَّوحيد، مسألـةٌ تتخطَّـى الأشـكال المظهريَّـة والحركات العفويَّـة، وأنَّها تبدأ بالإيمان الجـازم ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وتمـرُّ بسَخَـاء النَّفس وَجُودِهَا ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ وتظهـر في أداء الفرائض ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وتـبرز في الأخـلاق السَّامية، والصِّفـات الرَّاقية، ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ ومـن أكمـل عِقـد الإيمـان والتَّوحيـد، امتثـالاً لهذه الحقائـق فهو من ﴿أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البَقَرَة: 177].

♦♦♦

■ لا إلـه إلاَّ الله؛ لا نحـبُّ إلاَّ في الله: إذا كَانَ للعَبـد انتمَـاءٌ حَقيقي وَثيق بعَقيـدَة (لا إلـه إلاَّ الله)؛ فإنَّها ستقوى رابطـةُ الأخـوَّة والمحبَّـة الإيمانيَّـة، بين الَّذين تجمعهـم كلمةُ التَّوحيـد، وستعلو فـوق كلِّ الرَّوابـط والعلاقـات، ولذلـك إذا لَمست مـن شَخص صَرْفَ اهتمَامَاته إلى مَن تَربطه بـه المصالح الدُّنيويَّة، أو العلائق المادِّيَّة! دون أدَاء حقُوق إخوَته في العَقيدَة، فذلك شَاهد عَلَى ارتخَاء وَلائه في الله، كنَتيجَـة حَتميَّـة لضَعف الإيمان بحقَائق التَّوحيد، الَّتي تَفرضُها لا إله إلاَّ الله، قَـال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ]، ولهـذا فـإنَّ درجـة تآلُفنا واتِّحَـاد كلمتنـا ومقـدار تعاوننـا، هما المـرآة الَّتي تعكس حجمَ إخلاصنا وسَعَة وَلائنَـا ومَحبَّتنَـا لإخوَاننَـا في التَّوحيد، وممَّا يدفعنا إلى الخجل من أنفسنا أنَّنا ندَّعـي تحقيقَ التَّوحيـد، في الوقت الَّذي تنافـرت فيـه قلوبنا، وانطَـوى كلُّ واحد منَّـا على خاصَّـة نفسه، نَاسيًـا مُتغَافلاً عَـن أَمـر إخوَانـه وقَضَايـا أُمَّتـه! هذا توحيد الخلف! أمَّـا السَّلف فقد جعلتهم لا إله إلاَّ الله يقولون عن شُركَائهم فِيهَا: «إنَّه لَيَبْلُغُني عـنِ الرَّجل من أَهل السُّنَّة أنَّه مَات، فكأنَّما فَقدتُ بَعضَ أعضَائي» كما قال الإمام أيُّوب السَّختياني رَحِمَهُ اللهُ.





أ.د.محمد علي فركوس
أستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر

في خضوع منفعة العين المؤجَّرة للقسمة الإرثية

السؤال:

امرأةٌ تزوَّجت رجلًا له أولادٌ من زوجة مطلَّقة يعيشون معه في بيت استأجره أيَّامَ الاستعمار الفرنسيِّ، وبقيت هذه المرأةُ مع زوجها وأولاده إلى أن توفِّي زوجُها هذا، فأكملت هي دَفْعَ مستحَقَّات الإيجار وحوَّلت إيصالَ الإيجار إلى اسمها، وبقي الحالُ كذلك إلى أن كُتب إيجارُ البيت على اسمها، واستمرَّت في دَفْع مستحَقَّات التأجير إلى الدولة، إلى أن تيسَّر لها شراؤه من الدولة على اسمها وصار ملْكًا لها.

وقبل فترة قريبة اعتُبر بيتُها من البيوت الهشَّة التي يجب هدمُها، فحوَّلَتْها الدولةُ إلى مسكن جديد على اسمها، فصارت تدفع مبلَغَ إيجارٍ شهريٍّ على أن يُحوَّل البيتُ ملْكًا لها بعد أن تدفع أقساطَ الإيجارِ المفروضةَ عليها.

غير أنَّ الدولة ـ باعتبار أنَّ بيتها الأوَّل كان ملْكًا لها ـ عوَّضَتْها مبلغًا ماليًّا كبيرًا عن ملكية البيت الأوَّل.

وسؤالها: هل أولاد زوجها الأوَّل ـ والذي هو أوَّلُ مَن استأجر البيتَ الأوَّل والمعوَّض عنه بذلك المبلغ الماليِّ ـ لهم حقٌّ في ذلك التعويض؟ أي: هل هذا التعويض يُعتبر إرثًا ويُقْسَم على الورثة أم أنه ملْكٌ لها لكونها هي التي استمرَّت في دفع مبالغ التأجير طيلةَ سنوات عديدة وهي التي دفعَتْ مستحَقَّات البيت حتَّى صار ملْكًا لها؟ وجزاكم الله خيرًا.

■ ■ ■



الجواب:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فيعود حقُّ منفعة المسكن بعد وفاة المستأجر إلى ورثته: زوجته وأولاده، علمًا بأنَّ الدولة ـ مالكةَ العَقَار ـ تُعطي لمستأجرها ـ بوضع قانونيٍّ ـ حقَّ البقاء الدائم في العَيْن المؤجَّرة، وعليه فقيمةُ منفعة العَيْن المؤجَّرة يستحقُّها جميعُ وَرَثته، وتُقسَّم بينهم على قواعد الميراث وأحكامه.

هذا، وبغضِّ النظر عن نيَّة زوجة المتوفَّى في المسارعة لتملُّك العَيْن المؤجَّرة بدفع مستحَقَّاتها للدولة مالكةِ العَقَار بعد تحويل الإيجار مكتوبًا على اسمها: أينطوي على سوء نيَّتها بهذا الإجراء الإداريِّ أم حُسن نيَّتها؟ فإنَّ هذا التصرُّف ـ في حدِّ ذاته ـ لا يُلغي حقَّ الورثة من أولاده ولا يُبطله التقادمُ ولو مضت عليه السِّنُونَ ما لم يُسقطوه لصالحها.

ولها أن تَرجع عليهم بما دَفَعَتْه من مستحَقَّات المسكن المالية، وكذلك مبالغ التأجير إذا ما شاركوها في الاستفادة من العَيْن المؤجَّرة، فإذا استأثرت بالانتفاع بالعَيْن المؤجَّرة لوحدها فلا حقَّ لها في أن تطالبهم إلَّا بمستحقَّات المسكن ودفوع أقساط الإيجار المسبقة للتملُّك دون مبالغِ الإيجار التي كانت في مقابِل انتفاعها بمفردها.

والعلم عند الله تعالى.

■ ■ ■

من أحكام المصحف الإلكتروني

■ **السُّؤال:**

انتشرت في المجتمعات الإسلامية الهواتفُ الذكيَّة، وتتضمَّن بعضَ التطبيقات الشرعية، ومنها إمكانية القراءة من مصحف كامل، فهل إذا فتح القارئُ المصحفَ من الهاتف الذكيِّ يأخذ حُكْمَ المصحف المتعارَف عليه؟ فإذا كان كذلك فهل يؤجَر الناظرُ فيه كما يؤجَر الناظر في المصحف المطبوع؟ وهل يجوز الدخولُ به إلى بيت الخلاء؟ وهل يصحُّ للمُحْدِث مَسُّه؟ وجزاكم الله خيرًا.

■ **الجواب:**

فيمكن تعريفُ المصحف بالاصطلاح الحديث بأنه الوسائلُ المادِّية الجامعةُ للقرآن الكريم المطابِقِ في ترتيب آياته وسُوَره للهيئة أو الرسم اللذَين أجمعت عليهما الأمَّةُ في خلافة عثمانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنه.

ويظهر من التعريف السابق شمولُه لكلِّ أنواع المصاحف: قديمةً كانت كالمصحف الورقيِّ المعهود الذي هو الأوراق والحروف الجامعة للقرآن المكتوبةُ بين دفَّتين حافظتَيْن، أو حديثةً كالمصحف المحمَّل على الشرائح الإلكترونية والأقراص المُدْمَجة، ويدخل في ذلك -أيضًا- النتوءاتُ المستعمَلةُ بإبرة برايل في الكتابة على الأوراق الخاصَّة بها، وهو المصحف الخاصُّ بالمكفوفين.

هذا، وإذا كان المصحف الإلكترونيُّ يتَّصف ببعض المواصفات المغايرة للمصحف الورقيِّ في تركيبه وحروفه، فإنه -والحالُ هذه- لا يأخذ حُكْمَ المصحف الورقيِّ إلاَّ بعد تشغيل الجهاز وظهورِ الآيات القرآنية المخزَّنة في ذاكرة المصحف الإلكترونيِّ، فإن ظهر المصحفُ الإلكترونيُّ معروضًا بهيئته المقروءة فإنَّ القراءة فيه كالقراءة في المصحف الورقيِّ يُنال بها الأجرُ المذكور في حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»[1]، وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ فَلْيَقْرَأْ فِي المُصْحَفِ»[2]، وغيرها من الأحاديث الصحيحة الدالَّة على فضل تلاوة القرآن والإكثار منها.

ومن جهة الحَظْر من الدخول بالمصحف الإلكترونيِّ إلى الخلاء من غير حاجة أو ضرورة فإنه يصدق عليه حكمُ المنع ما دام الجهازُ أو الهاتف النقَّال في حال التشغيل وعرض الآيات القرآنية، ويدخل في الحظر -أيضًا- مسُّه بنجاسة أو وضعُه عليها أو تلطيخُه بها، ذلك لأنَّ حرمة القرآن قائمةٌ فيه مع تشغيله وظهور آياته وسُوَره.

غير أنَّ أحكام الحَظْر السابقة تنتفي عن المصحف الإلكترونيِّ في حالِ غَلْقِ الجهاز وانتهاء ظهور الآيات بانتهاء انعكاسها على الشاشة، وهو في تلك الحال من عدم التشغيل لا يُعَدُّ مصحفًا ولا تترتَّب عليه أحكامُ المصحف الورقيِّ.

ومن جهة أخرى يجوز للمُحْدِث حدثًا أصغرَ أو أكبرَ أن يَمَسَّ أجزاءَ الهاتف النقَّال أو غيرِه من الأجهزة المشتملة على البرنامج الإلكترونيِّ للمصحف، ويستوي في ذلك حالُ الإغلاق وحالُ التشغيل، ذلك لأنَّ الحروف القرآنية للمصحف الإلكترونيِّ الظاهرةَ على شاشته ما هي إلاَّ ذبذباتٌ إلكترونيةٌ مشفَّرةٌ معالَجةٌ على وجه متناسق بحيث يَمتنع ظهورُها وانعكاسُها على الشاشة إلاَّ بواسطة برنامج إلكترونيٍّ.

وعليه فمَسُّ زُجاجة الشاشة لا يُعَدُّ مسًّا حقيقيًّا للمصحف الإلكترونيِّ، إذ لا يُتصوَّر مباشرةُ مَسِّه بما تقدَّم بيانُه، بخلاف المصحف الورقيِّ، فإنَّ مَسَّ أوراقه وحروفه يُعَدُّ مسًّا مباشرًا وحقيقيًّا له، لذلك لا يُؤْمَر المُحْدِثُ بالطهارة لِمَسِّ المصحف الإلكترونيِّ إلاَّ على وجه الاحتياط والتورُّع.

والعلم عند الله تعالى، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّد وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدين وسلَّم تسليمًا.

■ ■ ■

(1) أخرجه الترمذي (2910)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (6469).

(2) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (2027)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو في «الصَّحيحة» للألباني (2342).

سيرة وتاريخ





عناية الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللهُ بحديث رسول الله ﷺ روايةً ودرايةً



أشرف جلال بن أودينة
مرحلة الدكتوراه بجامعة الجزائر

هو أديبٌ فذٌّ ومجاهد مُصلِح ورائد من رواد السَّلفيَّة، رجل عُرِضَت عليه مَشْيَخةُ الإسلام فتركها ليسلك سبيل السُّنَّة والإصلاح[1]، رجل صاحب قلم سيَّال، بل أمير الفصاحة والبيان، إذا ذُكِرَ يُقرَن ذكرُه بقوَّة الحافظة وجودة الذِّهن وصفاء القريحة، فهو سليلُ بيت عريق في العلم والأدب[2]، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين، وحفظ من لغة العرب وشعر العرب الشَّيءَ الكثير، قال -مُتحدِّثًا عن قوَّة حافظته-:

«فما بَلَغتُ تسع سنين من عمري حتَّى كنتُ أحفظُ القرآنَ مع فهم مُفردَاته وغريبه، وكنتُ أحفظُ معه «ألفيَّةَ ابن مالك» ومعظمَ «الكافية» له، و«ألفيَّة ابن معطي الجزائري» وألفيَّتَي الحافظ العراقي في السِّيَرِ والأثر، وأحفظ «جمع الجوامع» في الأصول، و«تلخيص المفتاح» للقاضي القزويني، و«رقم الحُلَل في نظم الدُّول» لابن الخطيب، وأحفظ الكثير من شعر أبي عبد الله بن خميس التِّلمساني، شاعر المغرب والأندلس في المائة السَّابعة، وأحفظ معظم رسائل بُلَغاء الأندلس مثل ابن شهيد، وابن برد، وابن أبي الخصال، وأبي المُطرِّف ابن أبي عميرة، وابن الخطيب، فحفظت صدرًا من شعر المُتنبِّي، ثمَّ استوعبتُه بعد رحلتي إلى الشَّرق، وصدرًا من شعر الطَّائيِّين، وحفظتُ «ديوان الحماسة»، وحفظت كثيرًا من رسائل سهل ابن هارون وبديع الزَّمان، وفي عنفوان هذه الفترة كنتُ حفظتُ بإرشاد عمِّي كتابَ «كفاية المُتحفِّظ» للأجدابي الطَّرابلسي، وكتاب «الألفاظ الكتابيَّة» للهمذاني، وكتاب «الفصيح» لثعلب، وكتاب «إصلاح المنطق» ليعقوب السِّكِّيت، وهذه الكتب الأربعة هي الَّتي كان لها مُعظَم الأثر في ملكتي اللُّغويَّة؛ لأنَّ الله تعالى وهبني حافظةً خارقةً للعادة، وقريحةً نيِّرَةً، وذهنًا صيودًا للمعاني ولو كانت بعيدةً، فكان من ثمار ما أنعم الله عليه به من جودة الذِّهن أن أجازه[3] عمُّه فتصدَّر

(1) للوقوف على ترجمته الحافلة بالمآثر الحميدة ينظر مقالة الإبراهيمي تحت عنوان: «أنا» «مجلَّة مجمع اللُّغة العربيَّة» (21/135-154)، ومقالة عنوانها: (خلاصة تاريخ حياتي العلميَّة والعمليَّة) (5/262 - 291) من «الآثار»، كتب هذه التَّرجمةَ بطلب من مجمع اللُّغة العربيَّة بالقاهرة عام 1961م عندما عُيِّنَ عُضوًا عامًّا فيها.

(2) خرج من عمود نسبهم خمسةٌ من العلماء في علوم العربيَّة، ونشروها بهمَّة واجتهاد في الأقاليم المجاورة لإقليمهم.

(3) قال الإبراهيمي رَحِمَهُ اللهُ: «وكان أئمَّةُ العلم لا يعتمدون في تخرُّجهم على الشَّهادات الرَّسميَّة، وإنَّما كانوا يعتمدون على الإجازات من مشايخهم الَّذين يأخذون عنهم».



بتدريس العلوم الَّتي درسها عليه وعمره أربع عشرة سنة، وانهال عليه طلبة العلم من البلدان فتصدر: دون سنِّ التَّصدُّر وصار شيخًا في سنِّ الصِّبا.

ولتعرف من هو الابراهيمي: متِّع ناظرَيْك برَدِّه على الكتَّاني[4] وابن عاشور[5]، لتقف على سطوة قلمه وجرأته في نصرة السُّنَّة النَّبويَّة.

۞۞۞

ولمَّا كان لعالمنا عنايةٌ بحديث رسول الله ﷺ، روايةً ودرايةً، أردتُ أن أبرزَ هذا الجانب المهمَّ من سيرة هذا الإمام الَّذي يتعلقُّ بعلم من أشرف العلوم، لأكشف النِّقاب عن عنايته بحديث رسول الله ﷺ، وحرصه على حفظ السُّنَّة ونشرها بين النَّاس، خاصَّةً عنايته بموطَّأ مالك حفظًا وفهمًا وتدريسًا، مع عنايته بالسِّيرة النَّبويَّة وطبقات الرِّجال والجرح والتَّعديل، وليس شرطي في هذا المقال التَّتبُّع والاستقراء؛ إذ ليس من السَّهل على من كانت بضاعتُه مزجاةً في العلم أن يكتبَ عن رجل نظم «ملحمة» في تاريخ الإسلام والمجتمع الجزائري والاستعمار، في ستَّة وثلاثين ألف بيت، رجل قال عنه الشَّيخ ابن باديس رحمه الله: «عجبتُ لشعب أنجب مثلَ الشَّيخ الإبراهيمي، أن يضلَّ في دين، أو يَخزَى في دنيا، أو يَذِلَّ لاستعمار»، بل هي نظراتٌ في سيرة هذا الإمام، أزفُّها لطلَّاب العلم النَّبوي، راجيًا من العليِّ

(4) «عيون البصائر» (مجموع المقالات الَّتي كتبها تأليف العلاَّمة محمَّد البشير إبراهيمي، (607 إلى 618) طبعة المكتبة الإسلاميَّة. القاهرة (2007).

(5) بعنوان «أشيخُ الإسلام هوَ، أم شيخُ المسلمين؟»، «البصائر»، (السَّنة الأولى، العدد: (20)، يوم الجمعة 1 ربيع الأول 1355هـ الموافق ليوم 22 ماي 1936م). (ص 1.2.3)

القدير أن يوفِّقنا للزوم الميراث النَّبوي علمًا وعملاً، والاقتداء بهذا الإمام في حفظ السُّنَّة والاهتمام بالإسناد والرِّواية، والعناية بالفهم والدِّراية.

۞۞۞

الإبراهيمي ورحلة أهل الحديث

إنَّ من خصائص أهل الحديث الرِّحلة في طلب العلم ولقاء العلماء شعارهم في ذلك «إنَّ العِلمَ يُؤتَى ولا يأتي»، لأجل ذلك تاقت نفس عالمنا إلى الهجرة إلى الشَّرق، فاختار المدينة النَّبويَّة؛ لأنَّ والدَه سبَقَهُ إليها سنة 1908 فرارًا من ظلم فرنسا، فالْتَحَقَ به مُتخفِّيًا أواخر سنة 1911، فرحل من الجزائر إلى مدينة رسول الله ﷺ مرورًا بالقاهرة وحضر فيها مجالس الحديث والسَّماع ثمَّ انتقل إلى المدينة النَّبويَّة فكانت إقامته بها أفضل أيَّام عمره، ثمَّ خرج منها إلى دمشق الشَّام فحدَّث فيها وأفاد، ثمَّ عادَ إلى الجزائر ليؤَسِّسَ بتلمسان دارًا للحديث ومنارةً للعلم خَتَمَ فيها شرح كتاب شريف في العلم هو موطَّأ مالك رحمه الله.

قال: مُتحدِّثًا عن رحلته: «ومررت في وجهتي هذه بالقاهرة، فأقمت بها ثلاثةَ أشهر، وحضرت بعضَ دروس العلم في الأزهر، وعرفت أشهر علمائه، فممَّن عرفته وحضرت دروسه:

والشَّيخ محمَّد بخيت، حضرتُ درسَه في البخاري في رواق العباسي، والشَّيخ سعيد الموجي ذكر لي أنَّ له سندًا عاليًا في رواية الموطَّأ، فطلَبْتُ



أن أَرْوِيَهَا عنه بذلك السَّند وحضرت مجالسَه بجامع الفاكهاني مع جمهور من الطَّلبة، وتولَّيْتُ قراءةَ بعض المُوطَّأ عليه من حفظي».

۞۞۞

في مدينة رسول الله ﷺ

كانت فترة مجاورته بمدينة رسول الله ﷺ أيَّام خير عليه أخذَ فيها الكثير من العلم النَّبوي، قال: مفتخرًا بتخرُّجه في مدينة رسول الله ﷺ: «فأنا لم أتخرَّجْ في جامع الزَّيتونة، ولم أقرأْ فيه حرفًا، ولكنِّي تخرَّجت بالمدينة المُنوَّرة، على أضواء كواكب الزَّيتونة في وقته. ولا أحابي. الشَّيخ محمَّد العزيز الوزير التُّونسي: فكانت لي بسببه صلةٌ بالزَّيتونة مرعيَّةَ المتات».

فأقبل في المدينة النَّبويَّة على الاستزادة من علم الحديث روايةً ودرايةً، وأخذ علم الجرح والتَّعديل وأسماء الرِّجال، والسِّيرة النَّبويَّة، كما أخذ علم التَّفسير والأدب والشِّعر الجاهلي وأنساب العرب، وغير ذلك من الفنون، مع عكوفه على المكتبات الخاصَّة وخزائن الكتب والمخطوطات، وإنفاق وقته في إلقاء الدُّروس، ومطالعة الكتب.

قال رحمه الله: «خرجت من القاهرة قاصدًا المدينة المُنوَّرة، فركبتُ البحرَ من بور سعيد إلى حَيْفَا، ومنها ركبتُ القطارَ إلى المدينة، وكان وُصولي إليها في أواخر سنة 1911، واجتمعت بوالدي: وطُفْتُ بحلَق العلم في الحرم النَّبويِّ مُختَبِرًا، فلم يَرُقْ لي شيءٌ منها، وإنَّما غثاءٌ يُلقيه رهطٌ ليس له من العلم والتَّحقيق شيءٌ، ولم أجد علمًا صحيحًا إلاَّ عند رَجلَيْن هما شيخاي: الشَّيخ العزيز الوزير التُّونسي، والشَّيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي، فهما. والحقُّ يُقال. عالمان مُحقِّقان واسعًا أُفُق الإدراك في علوم الحديث وفقه السُّنَّة، ولم أكُنْ راغبًا إلاَّ في الاستزادة من علم الحديث، روايةً ودرايةً، ومن علم التَّفسير، فلازَمْتُهُمَا ملازمةَ الظِّلِّ، وأخذتُ عن الأوَّل المُوطَّأ درايةً، ثمَّ أدهشني تحقيقُه في بقيَّة العلوم الإسلاميَّة، فلازمتُ درسَه في فقه مالك، ودرسه في التَّوضيح لابن هشام.

ولازمتُ الثَّاني في درسه لصحيح مسلم، وأشهد أنِّي لم أرَ لهذَيْن الشَّيخَيْن نظيرًا من علماء الإسلام إلى الآن».

قال رحمه الله: «وأخذتُ أيَّامَ مُجاورتي بالمدينة علمَ التَّفسير عن الشَّيخ الجليل إبراهيم الأسكوبي، وكان ممَّن يُشَارُ إليهم في هذا العلم مع تورُّعٍ وتصاوُنٍ هو فيهما نسيج وحده.

وأخذتُ الجرحَ والتَّعديل وأسماءَ الرِّجال عن الشَّيخ أحمد البَرْزَنْجي الشَّهرَزُوري في داره أيَّامَ انقطاعه عن التَّدريس في الحرم النَّبوي، وكان من أعلام المُحدِّثين، ومن بقاياهم الصَّالحة».

قال رحمه الله: «وأخذتُ أنسابَ العرب وأدبَهم الجاهلي، والسِّيرة النَّبويَّة عن الشَّيخ مُحمَّد عبد الله زيدان الشِّنقيطي، وهو أعجوبةُ الزَّمان في حفظ اللُّغة العربيَّة وأنساب العرب، وحوادث السِّيرة في اللُّغة والشِّعر الجاهلي، ومنه المعلَّقات العشر، أمَّهات الأدب المشهورة خصوصًا «الكامل» للمُبرِّد، و«البيان والتَّبيين» للجاحظ، فقد ختمناهما مُطالعةً مُشترَكةً فاحصةً مُتأنِّيةً، وكذلك فَعَلْنَا بكتاب «الأغاني» من أوَّله إلى آخره.

. وقد أُعْجِبَ العلماءُ بقوَّة حافظته فبادروه بالإجازة بالرِّواية، وممَّن حصل منه ذلك بمدينة رسول الله ﷺ الشَّيخ أحمد البَرْزَنْجي رحمه الله.

قال الإبراهيمي: في ردِّه على عبد الحيِّ الكَتَّاني الَّذي كان مُولَعًا بالرِّواية من غير تحقيق ولا دراية، قال: «زُرْتُ يومًا الشَّيخ أحمد البرزنجي: في داره بالمدينة المُنَوَّرَة وهو ضرير، وقد نُمِيَ إليه شيءٌ من حفظي ولزومي لدور الكتب، فقال لي بَعْدَ خوض في الحديث: أجزتُك بكلِّ مَرويَّاتي من مقروءٍ ومسموعٍ بشرطه... إلخ.

فأُلْقِيَ في رُوعي ما جرى على لساني وقلتُ له: إنَّكَ لم تُعطني علمًا بهذه الجُمَل، وأَحْرِ أن لا يكونَ لي ولا لك أجر؛ لأنَّك لم تتعبْ في التَّلقين وأنا لم أتعبْ في التَّلقِّي؛ فتبسَّمَ ضاحكًا من قولي ولم ينكر، وكان ذلك بَدْأَ شفائي من هذا المرض، وإن بَقِيَتْ في النَّفس من عقابيل، تَهيج كُلَّما طاف بي طائفُ العُجب والتَّعاظم الفارغ إلى أن تناسَيْتُه مُتعمِّدًا؛ ثمَّ كان الفضلُ لمصائب الزَّمان من نسيان البقيَّة الباقية منه؛ وإذا أسفت على شيئ من ذلك الآن فعلى تناسيَّ لأيَّام العرب؛ لأنَّها تاريخ، وعلى نسياني أشعار العرب؛ لأنَّها أدب.

وحضرتُ بعد ذلك طائفةً من دروس هذا الشَّيخ في «صحيح البخاري» على قلَّتها وتقطُّعها؛ وأشهد أنِّي كنتُ أسمعُ منه علمًا وتحقيقًا...

وممَّن لقيَه بالمدينة وأجازه كذلك الشَّيخ يوسف النَّبهاني.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولقيتُ يومًا الشَّيخ يوسف النَّبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ بباب من أبواب الحرم فسلَّمتُ عليه فقال لي: سَمعتُ آنفًا درسَك في الشَّمائل، وأعجبني انحيازُك باللَّوم على مُؤلِّفي السِّيَر في اعتنائهم بالشَّمائل النَّبويَّة البدنيَّة، وتقصيرهم في القضايا الرُّوحيَّة، وقد أجزتك بكلِّ مُؤلَّفاتي ومرويَّاتي وكلِّ ما لي من مقروء ومسموع ممَّا تضمنَّه ثبتي...إلخ، فقلتُ له: أناَ شابٌّ هاجرتُ لأستزيدَ علمًا وأستفيدَ من أمثالكم ما يُكمِّلُني منه، وما أرى عمَلَكُمْ هذا إلاَّ تزهيدًا لنا في العلم؛ وماذا يُفيدُني أن أَرويَ مُؤلَّفَاتك وأنا لم أستفدْ منك مسألةً من العلم؛ ولماذا لم تنصب نفسَك لإفادة الطُّلاَّب؛ فسَكتَ، ولم يكن له رَحِمَهُ اللَّهُ درسٌ في الحرم، وإنَّما سمعتُ من خادم له جَبَرْتي أنَّه يتلقَّى عنه في حجرته درسًا في فقه الشَّافعيَّة.وكان بعد ذلك يُؤثِر محلِّي على ما بيننا من تفاوت كبير في السِّنِّ، وتباين عظيم في الفكرة».

وقد بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ العنايةَ بالرِّواية يرجع إلى الحكم عليها قبولاً وردًّا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمَّا أولئك السَّلفُ الأبرار فعنايتهم بالرِّواية والرِّجال راجعةٌ كلُّها إلى الجرح والتَّعديل الَّذَيْن هما أساسُ الاطمئنان إلى الرِّواية، وقد تعبوا في ذلك واسترحنا».

وبالجملة فقد كانت إقامتي بالمدينة المُنوَّرة أيَّام خير وبركة عليَّ، فكنتُ أنفقُ أوقاتي الزَّائدة في إلقاء دروس في العلوم الَّتي لا أحتاج فيها إلى مزيد كالنَّحو والصَّرف والعقائد والأدب، وكنتُ أتردَّدُ على المكتبات الجامعة، فلا يراني الرَّائي إلاَّ في مكتبة شيخ الإسلام عارف حِكْمَتْ، حتَّى اسْتَوْعَبْتُ مُعظَمَ كتُبها النَّادرة قراءةً، وفي مكتبة السُّلطان محمود، وفي مكتبة شيخنا الوزير، وفي مكتبة بشير آغا، أو في مكتبات الأفراد الغاصَّة بالمخطوطات، مثل مكتبة آل الصَّافي، ومكتبة رباط سيِّدنا عثمان، وفي مكتبة آل المدني وآل هاشم، ومكتبة الشَّيخ عبد الجليل برادة، ومكتبة الوزير التُّونسي العربي زَرُّوق، كما كنتُ أستعيرُ كثيرًا من المخطوطات الغربيَّة من أصدقائي وتلامذتي الشَّناقطة، أذكر منها ديوان غيلان ذي الرُّمَّة، فأقرأها وأحفظُ عيونَها، وقد حفظتُ في تلك الفترة معظَمَ ديوان ذي الرُّمَّة، كلُّ هذا وأنا لم أنقطع عن إلقاء الدُّروس».

- إنَّ الرِّوايةَ والإسنادَ ممَّا اختصَّ اللهُ به أمَّةَ الاسلام ويكفي منها شرفُ اتِّصال السَّند، والشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان حريصًا عليها، وكان رحمةُ الله عليه يرى أنَّ قيمةَ الرِّواية في العمل والدِّراية والاستفادة من علم الشَّيخ، وأنَّ التَّوسُّع في الرِّواية أفضى بنا إلى الزُّهد في الدِّراية لا أنَّه يَستَخفُّ بقيمتها كيف ذلك وقد استجاز وأجاز.

وممَّن أجازهم الشَّيخ الابراهيمي الأستاذُ محمَّد الفاسي، عندما زاره في منزله بالجزائر في بداية سنة 1964م[6] فقد أجازه بما أخذه عن شيوخه من كتب الحديث وكُتُب الرِّجال والجرح والتَّعديل، ومتون العلم، وجميع ما في الأثبات المعروفة من أمَّهات الفقه والحديث، وأهمُّها ثبتُ الشَّيخ عبد الله ابن سالم البصري، وثبت المُلاَّ إبراهيم الكوراني، وثبت الشَّيخ صالح الفلاني، وثبت الشَّيخ فالح الظَّاهري المهناوي الكبير والصَّغير.

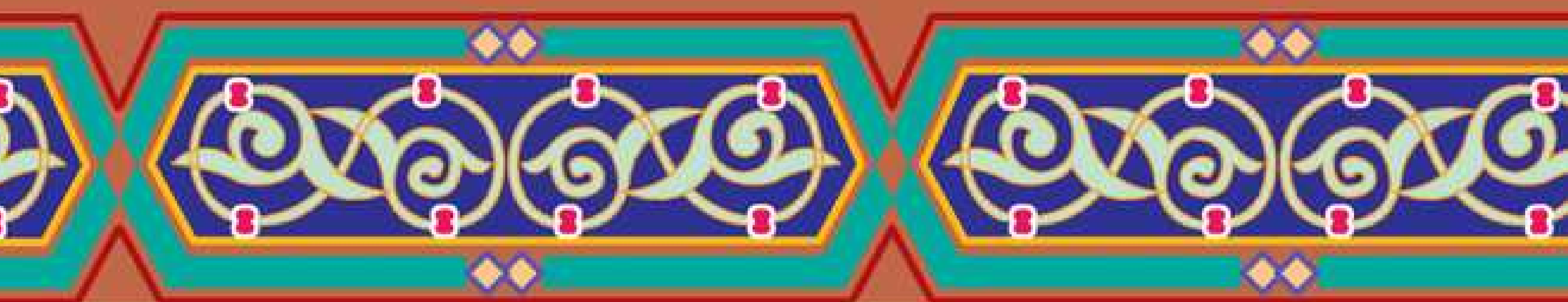
۞۞۞

(6) «آثار الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي» (5/311ـ312).

إحياؤه لمجالس إملاء الحديث في دمشق

لمَّا قامت الحربُ العالميَّةُ سنةَ 1917 أَمَرَت الحكومةُ العثمانيَّة بترحيل سكَّان المدينة كلِّهم إلى دمشق، فكان من أوائل المطيعين لذلك الأمر فخرج رُفقةَ والده إلى دمشق الشَّام، والتقى برجال العلم ودرَّس تحت قبَّة النَّسر في الجامع الأُموي وأملى حديثَ رسول الله ﷺ، وكان ـ رحمة الله عليه ـ يروي الأحاديث مُسَلسَلَةً الإسناد منه إلى رسول الله ﷺ، ثمَّ يُعَقِبُها بالشَّرح فأحيا بذلك سنَّةً اندرست عند أهل الحديث والأثر.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما لبثتُ شهرًا حتَّى انهالت عليَّ الرَّغَباتُ في التَّعليم بالمدارس الأهليَّة، فاستجبتُ لبعضها، ثمَّ حملني إخواني على إلقاء دروس في الوعظ والإرشاد بالجامع الأموي بمناسبة حلول شهر رمضان فامتثلتُ وألقيتُ دروسًا (تحت قبَّة النَّصر الشَّهيرة) على طريقة الأمالي، فكنتُ أَجْعَلُ عماد الدَّرس حديثًا أُمليه من حفظي بالإسناد إلى أصوله القديمة، ثمَّ أُمْلي تفسيرَه بما يُوافِقُ رُوحَ العصر وأحداثَه، فسمع النَّاس شيئًا لم يألفوه ولم يسمعوه إلاَّ في دروس الشَّيخ بدر الدِّين الحَسَني، ثمَّ بعد خروج الأتراك من دمشق وقيام حكومة الاستقلال العربي دعتني الحكومةُ الجديدةُ إلى تدريس الآداب العربيَّة بالمدرسة السُّلطانيَّة (وهي المدرسة الثَّانويَّة الوحيدة إذ ذاك) مُشاركًا للأستاذ اللُّغوي الشَّيخ عبد القادر المبارك، فاضطلعتُ بما حُملت من ذلك، وتلقَّى



عنِّي التَّلامذةُ دروسًا في الأدب العربي الصَّميم، وكانت الصُّفوف الَّتي أُدرِّسُ لها الأدبَ العربيَّ هي الصُّفوفُ النِّهائيَّةُ المُرَشَّحةُ للبكالوريا، وقد تخرَّج عنِّي جماعةٌ من الطَّلبة هم اليوم عماد الأدب العربي في سوريا...».

۞۞۞

العودة إلى الجزائر

قال رحمه الله: «ولمَّا دخل الأميرُ فيصل ابن الحسين دمشق اتَّصل بي وأرادني على أن أُبادرَ بالرُّجوع إلى المدينة لأتولَّى إدارةَ المعارف بها، ولم يكن ذلك في نيَّتي وقصدي، لمَا طرأ على المدينة من تغيُّرٍ في الأوضاع الماديَّة والنَّفسيَّة فأبَيْتُ عليه، وما فتئ يلحُّ عليَّ وآبى إلى أن سَنَحَتْ الفرصةُ فكرَّرْتُ راجعًا إلى الجزائر موطن آبائي وعشيرتي».

وبعد رجوعه من الحجاز والشَّام كانت له عدَّةُ أعمال في الجزائر، فقام رُفقة رفيقه في الجهاد باني النَّهضة العلميَّة بالجزائر الشَّيخ ابنُ باديس رحمه الله بتأسيس «جمعيَّة العلماء المسلمين»، بعد أن أصبح لهما جيشٌ من التَّلامذة يحمل فكرتَهُمَا وعقيدَتَهما مُسلَّحًا بالخطباء والكُتَّاب والشُّعراء، يلتفُّ به مئات الآلاف من أنصار الفكرة وحملة العقيدة يجمعهم كلَّهم إيمانٌ واحدٌ، وفكرةٌ واحدةٌ، وحماس مُتأجِّجٌ، وغضبٌ حادٌّ على الاستعمار، لتنظيم حملة جارفة على البدع والخرافات والضَّلال في الدِّين، بواسطة الخطب والمحاضرات ودروس الوعظ والإرشاد في المساجد والأندية والأماكن العامَّة والخاصَّة، حتَّى في الأسواق، والمقالات في الجرائد الخاصَّة الَّتي أُنشِئَت لخدمة الفكرة الإصلاحيَّة.

۞۞۞

الإبراهيمي وتأسيس دار الحديث بتلمسان

كان ابنُ باديس قد زار تلمسان سنة 1932، وألقى بها درسًا، فرَغِبَ بعضُ مُصلحي تلمسان من ابن باديس أن ينتقل إليهم، فقال لهم: «أُشيرُ عليكم بمَنْ هُوَ أَقْدَرُ منِّي وأَجْدَرُ»، أو قال: «سأُرْسِلُ إليكم مَن هُوَ أَعْلَمُ منِّي»، فقرَّرَتْ الجمعيَّةُ تعيين العلماء الكبار في عواصم المقاطعات الثَّلاث، قسنطينة والعاصمة وتلمسان ليكون كلٌّ واحد منهم مُشرفًا على الحركة الإصلاحيَّة والعلميَّة في المقاطعة كلِّها، وأرسل الإمام الإبراهيمي بمقاطعة وهران فكان قدومُه قدومَ خيرٍ وبركة على تلمسان، فأحيا بها ما اندرس من العلوم ورفع بها رايةَ الحديث والسُّنَّة.

قال رحمه الله: «خصَّصُوني بمقاطعة وهران وعاصمتها العلميَّة القديمة تلمسان، وكانت هي إحدى العواصم العلميَّة التَّاريخيَّة الَّتي أَخْنَى عليها الدَّهرُ فانتقلْتُ إليها بأهلي، وأَحْيَيْتُ بها رسومَ العلم، ونظَّمتُ دروسًا للتَّلامذة الوافدين على حسب درجاتهم، وما لبثَ إلاَّ قليلاً حتَّى أنشأت فيها مدرسة دار الحديث، وتبارى كرامُ التِّلمسانيِّين في البذل لها حتَّى برَزَتْ للوجود تحفةً فنيَّةً من الطِّراز الأندلسي، وتحتوي على مسجد وقاعة محاضرات، وأقسام لطلبة العلم، واخترتُ لها نخبةً من المُعلِّمين الأكفاء للصِّغار، وتولَّيْتُ بنفسي تعليمَ الطَّلبة الكبار من الوافدين وأهل البلد.

فكنتُ أُلقي عشرةَ دروس في اليوم، أبدأُها بدرس في الحديث بعد صلاة الصُّبح، وأختمها بدرس في التَّفسير بين المغرب والعشاء، وبعد صلاة العتمة أنصرف إلى أحد النَّوادي فألقي محاضرةً في التَّاريخ الإسلامي، فألْقَيْتُ في الحقبة الموالية لظهور الإسلام من العصر الجاهلي إلى مبدأ الخلافة العبَّاسيَّة بضعَ مئات من المحاضرات».

وقد مكث رحمه الله خمسةَ عشر عامًا ختم فيها «صحيح مسلم» روايةً ودرايةً، وأتمَّ النِّصف من تفسير كتاب الله.

قال رحمه الله: «وفي فترة العطلة الصَّيفيَّة أختمُ الدُّروسَ كلَّها وأخرُجُ من يومي للجَوَلاَن في الإقليم الوهراني مدينةً مدينةً وقريةً قريةً، فألقي في كلِّ مدينة درسًا أو درْسَيْن في الوعظ والإرشاد، وأتفقَّدُ شُعَبَها ومدارسَها، وكانت أيَّام جولتي كلُّها أيامَ أعراس عند الشَّعب، يتلقَّوْنَني على عدَّة أميالٍ من المدينة أو القرية، وينتقل بعضُهم معي إلى عدَّةِ مدنٍ وقرى، فكان ذلك في نظر الاستعمار تحديًّا له ولسلطته، وفي نظر الشَّعب تمجيدًا للعلم والدِّين وإغاظةً للاستعمار».

۞۞۞

وفي الختام أوصي نفسي وإخواني بتقوى الله والإقبال على السُّنَّة النَّبويَّة علمًا وعملاً، ومحبَّة علمائها، ونسأل الله عز وجل أن ينفَعَنا بمحبَّتهم ويُحيِيَنَا على سنَّتهم ويُميتَنَا على ملَّتهم ويَحشُرَنا في زُمرَتِهم؛ إنَّه بنا خبيرٌ بصيرٌ وهو على كلِّ شيءٍ قدير.



إنَّ مِنْ أَحْسَنِ ما يُستقبَلُ به شهرُ رمضان المبارك، ومِنْ أَفْضَلِ ما تُهَيَّأُ النُّفوسُ المؤمنةُ لملاقاة هذا الموسم العظيم، مذاكرةَ ومدارسةَ الآيات والأحاديث الدَّالَّة على فضل هذا الشَّهر وفضل العمل الصَّالح. ومنه الصِّيامُ. فيه.

وقد عُنِيَ العلماءُ قديمًا وحديثًا. وبالخصوص منهم المحدِّثون. بإفراد فضائل هذا الشَّهر الكريم في مُؤلَّفات خاصَّة، وأضاف بعضُهم إليه ما ورد في فضائل سابقه شهرِ شعبانَ المبارك.

وبين يَدَيْك. أخي القارئ. واحدٌ من تلك المُؤلَّفات، وهو جزءٌ حديثيٌّ نادرٌ، يتضمَّنُ مجلسَيْن من مجالس الأمالي الَّتي كان يَعقدُها الحافظُ أبو مُحمَّد الحسن بن علي الجوهري ببغداد، وهما المجلسان السَّابع والحادي عشر، خصَّصهما: لذكر فضائل شهرَيْ شعبان ورمضان، بأسانيده ورواياته.

مجلسان في فضائل شهر شعبان ورمضان

لأبي محمد الحسن بن علي الجَوْهَري

المتوفَّى سنة (454 هـ)

قرأه وقدم له: عمار تمالت

باحث بمركز الملك فيصل. الرياض

ومجالس الأمالي: سُنَّةٌ ماضيةٌ دَأَبَ عليها علماءُ الحديث بالخصوص وعلماءُ الأدب وغيرُهم، حيث كانوا يعقدُون لقاءات في المساجد وغيرها من الأماكن المُقدَّسة؛ كالحرمَيْن وأرض عرفات ومِنًى وغيرها، يذكرون فيها ما سمعوه من رواياتِ الحديث الشَّريف والأخبارِ والشِّعر وغير ذلك، بالأسانيد المُتَّصلة إلى مصادرها، وكانت هذه المجالس تتَّصف بالعلومِ الغزيرةِ والفوائدِ الكثيرةِ، وكان الحاضرون يحرِصون على أخذِ الإجازات والحِفَاظِ على سلسلة الإسناد.

❦❦❦

والحافظ الجَوْهَري هو[1]: أبو مُحمَّد الحسن بن علي بن محمَّد، الشِّيرازي ثمَّ البغدادي، محدِّثٌ مشهور، حدَّثَ عن كبار الحُفَّاظ، من أَشْهَرِهم: الحافظُ أبو بكر القطيعي حيث روى عنه «مسند الإمام أحمد»، قال الخطيب البغدادي: «كان ثقةً أمينًا»، وقال الذَّهبي: «وكان من بحور الرِّواية، روى الكثير، وأملى مجالسَ عدَّةً»، تُوفِّيَ سنة (454هـ).

❦❦❦

وهذان المجلسان من أمالي الجَوْهَري يوجدان ضمن نسخة مخطوطة محفوظة ضمن المجموع (79) من مجاميع المدرسة العُمريَّة بالمكتبة الظَّاهريَّة بدمشق، في عشر ورقاتٍ (من الورقة 131 . حتَّى 140)، كلُّ ورقةٍ ذاتُ وجهَيْن، ومسطرتُها (13) سطرًا.

والنُّسخةُ بخطِّ وروايةِ الحافظ إسماعيل بن إبراهيم الدِّمشقي الحنبلي المشهور بابن الخَبَّاز، المولود سنة (629هـ) والمُتوفَّى سنة (703هـ)، وقد عارضها ناسخُها بأصلها الَّذي نقلها منه، وهو أصلٌ قديمٌ كُتبَ سنة (454هـ) كما يبدو ذلك من خلال السَّماعات الَّتي نُقلَتْ منه، وأضاف إليها سماعات عدَّةً كتبها في أوَّل وآخرِ المَجلسَيْن، منها سماعُه على الحافظ ابن عبد الدَّائم سنةَ (655هـ) وعليه تصحيحُه بخطِّه، كما اشتملت النُّسخة على سماعاتٍ عدَّة في أوَّلِها وآخرها مُؤرَّخَةً في القرن السَّابع الهجري، وكلُّ ذلك يدلُّ على توثيق هذه النُّسخة وصحَّتها وأهمِّيَّتها.

(1) انظر: «سير أعلام النُّبلاء» (18/68 . 69).

■ وهذا نصُّ الجزء المذكور:

جزءٌ فيه: السَّابع والحادي عشر من أمالي أبي محمَّد الحسن بن علي الجَوْهَري عن شيوخه

تخريج: طاهر النَّيْسَابوري.

روايـة: أبي غالـب أحمد بن الحسن ابـن أحمد بن عبد الله ابـن البَنَّـاء، عن الجَوْهَري.

روايـة: أبـي حفص عمـر بن محمَّد ابن معمر بن طبرزد البغدادي، عنه.

روايـة: أبـي العبَّـاس أحمـد بن عبد الدَّائم وأبي الحسن علي بن عبد الواحد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ربِّ يسِّرْ وأعِنْ، يا كريم.

أخبرنـا الشَّيخـان الإمامان العالمان زيـن الدِّين أبـو العبَّاس أحمـد بن عبد الدَّائـم بـن نعمـة، وفخـر الدِّيـن أبـو الحسـن علي ابنُ أحمـد بن عبد الواحد المقدسيَّـان؛ قـالا: أبنا أبـو حفص عُمَر ابـنُ طَـبَرْزَد ـ قراءةً ونحـن نسمعُ بجبل قاسيون ظاهرَ دمشق ـ، قيل له: أَخبَرَكم أبـو غالب أحمد بنُ أبـي علي بن البنَّـاء، أبنا أبو محمَّد الحسن بنُ علي بن محمَّد الجَوْهَري ـ قـراءةً عليه في يوم الخميس الثَّالـث عشر مـن شعبان من سنـة أربع وخمسين وأربعمائة ـ قال:

[1] أبنـا أبو حفص عُمَر بنُ محمَّد بـن علي الزَّيَّات ـ قراءةً عليه وأنا حاضرٌ أسمـع في ذي الحجَّـة مـن سنـة أربـع وسبعـين وثلاثمائـة ـ، قثنـا[2] أحمـد ـ يعني: ابن الحسن بن عبد الجبَّار ـ، قثنا الحَكَم ـ هو: ابنُ موسى ـ، قثنا يحيى ابنُ حمـزة، عن ثَوْر بن يزيد، عن خالد ابنِ مَعْـدان قال: حدَّثني ربيعة بـنُ الغاز أنَّه سـأل عائشـةَ رضي الله عنها عن صيـام رسول الله ﷺ فقالت:

«كان يصومُ شعبانَ كلَّه، حتَّى يصلَه برمضان»[3].

[2] أبنا أبـو بكر محمَّد بنُ عبد الله بـن محمَّد بن أيوب القطَّان ـ قراءةً عليه وأنـا حاضـرٌ أسمـعُ ـ، قثنا أبـو العبَّاس ـ هـو: إسحـاق بـنُ محمَّـد بـن مَـرْوان الغـزَّال الكـوفي ـ، قثنا أبـي، قثنا حسين بنُ طُوق، عن يحيى بـن سَلَمَة بن كُهَيْل، عـن منصور، عن أبي سَلَمَـة قال: قالت أمُّ سَلَمَة:

«مـا رَأَيْتُ رسـولَ الله ﷺ يصـومُ شهرًا قطُّ إلاَّ شعبانَ ثمَّ رمضان»[4].

[3] أبنـا أبو الحسـن علي بنُ محمَّد بـن أحمد بن كَيْسـان ـ قـراءةً عليه وأنا حاضـرٌ أسمـعُ في شوَّال مـن سنة ثلاث وسبعـين وثلاثمائـة ـ، قثنـا يوسف ـ هو: ابنُ يعقـوب القاضي ـ قثنـا عبد الواحد ابـنُ غيـاث، قثنا حمَّـاد بـنُ سَلَمَة، عن ثابت البُنَاني، عـن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير، عن عِمْـران. والجُرَيْري[5] عـن أبي العـلاء، عن مُطَـرِّف بن عبد الله، عن عِمْران بـن حُصَينٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال له ـ أو لرجل ـ:

«هل صُمْتَ من سَرَرِ شعبانَ شَيْئًا؟»، قال: لا، قال: «فَإِذَا أَفْطَرْتَ فَصُمْ يَوْمَيْنِ».

(2) هو اختصار لقولهم: قال: حدَّثنا.

(3) أخرجـه ابـن ماجـه (1649)، وابـن حبَّـان (3643)، وصحَّحـه الشَّيخ الألبـاني في «إرواء الغليل» (4/105ـ106).

(4) هـذا الإسنـاد ضعيفٌ جـدًّا؛ يحيى بـنُ سلمة بن كهيل قال الحافـظ في «التَّقريب»: «متروك»؛ ثمَّ إنَّ في السَّنَـد انقطاعًا بين منصـور وأبي سلمة، وبينهمـا سـالم بـن أبي الجعـد؛ هكـذا أخرجه التِّرمذي (736)، والنَّسائي (2175)، والإمام أحمـد (26517)، مـن طُرُق عـن منصور عن سالم بن أبي الجعد، وهذا إسنادٌ صحيحٌ.

(5) هو سعيد بن إياس الجريري، معطوف على ثابت.

وقال الجُريري: «يومًا»[6].

[4] أخبرنا أبو القاسم الطَّيِّب ابنُ [يمُن][7] بن عبد الله مَوْلَى المُعْتَضِد. قراءةً عليه وأنا حاضرٌ أسمع في شهر رمضان من سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، فأقرَّ به وهو يسمعُ، قثنا محمَّد. هو: ابنُ هارون الحضرمي أبو حامد.، قثنا يحيى ابن حكيم، قثنا الحسن بنُ حبيب ابن نَدَبَة، قثنا رَوْح ابنُ القاسم، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرَة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إذَا كَانَ النِّصْفُ مِنْ شَعْبَانَ فَأَفْطِرُوا حَتَّى رَمَضَانَ»[8].

[5] أخبرنا أبو حفص عُمَر ابنُ إبراهيم بن كثير المُقْرِئ الكتَّاني. بقراءة البيضاوي عليه في مسجده بدَرْب الزَّعْفراني وأنا حاضرٌ أسمعُ وهو يسمع فأقرَّ به.، قثنا أبو عبد الله أحمد ابن علي بن العلاء الجوزجاني، قثنا زياد ابن أيُّوب، قثنا محمَّد بن ربيعة، قثنا أبو عُمَيْس، عن العلاء ابن عبد الرَّحمن ابن يعقوب، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرَة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَكُفُّوا عَنِ الصَّوْمِ»[9].

[6] أخبرنا أبو حفص عُمَر ابن محمَّد بن علي بن الزَّيَّات. قراءةً عليه فأقرَّ به وأنا حاضرٌ أسمعُ.، قثنا أحمد. هو: ابنُ الحسين بن إسحاق الصُّوفي.، قثنا سليمان بن عُمَر بن خالد الرَّقِّي، قثنا عيسى بن يونس، عن الأَحْوَص ابن حكيم، عن حبيب بن صُهَيْب، عن أبي ثَعْلَبَة الخُشَني قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ تَعَالَى يَطَّلِعُ لَيلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إلَى عِبَادِهِ، فَيَغْفِرُ للمُؤمِنِينَ، ويُمْلِي للكَافِرِينَ، ويَدَعُ أَهْلَ الحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدَعُوهُ»[10].

[7] أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بنُ جعفر بن محمَّد الخِرَقي. قراءةً عليه وأنا حاضرٌ أسمعُ في شوَّال من سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.، قثنا محمَّد. هو: ابنُ محمَّد ابن سليمان الباغَنْدي.، قثنا هشام بنُ خالد الدِّمشقي، قثنا أبو خُلَيْد عُتْبَة بنُ حماد الدِّمشقي الحَكَمي، عن الأَوْزاعي، عن مَكْحُول. وابنُ ثَوْبان، عن أبيه، عن مَكْحُول، عن مالك ابن يَخامِر السَّكْسَكي، عن معاذ بن جبل، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «يَطَّلِعُ اللهُ تعالى إلى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لجَمِيعِ خَلْقِهِ؛ إلاَّ لمُشْرِك أو مُشَاحِن»[11].

[8] قُرِئَ على أبي جعفر أحمد ابن علي بن محمَّد ابن أحمد بن الجَهْم المعروف بابن أبي طالب. وأنا حاضرٌ أسمعُ في المحرَّم سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة.، قثنا أحمد. هو: ابنُ خالد ابن عَمْرو السُّلَفي.، قثنا أبي، قال: حدَّثني عِكْرِمَة بنُ يزيد الأَلْهاني، قال: حدَّثني الأَبْيَض، عن محمَّد بن سعيد، عن عُبادة بن نُسَيٍّ، عن عَوْف بن مالك، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالى يَطَّلِعُ على خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ من شَعْبَانَ، فيَغْفِرُ لَهُمْ؛ إلاَّ مُشْرِكٌ أو مُشَاحِنٌ»[12].

[9] أخبرنا عبد العزيز بنُ جعفر بن محمَّد الحريري[13]. قراءةً عليه في سِكَّة غَزْوان في شوَّال من سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وأنا حاضرٌ أسمعُ.، قثنا محمَّد. هو: ابنُ محمَّد ابن سليمان الباغَنْدي.، قثنا إبراهيم بنُ عبد الله بن حاتم، قثنا علي بنُ ثابت الجَزَري مَوْلَى بني هاشم، قال: أخبرني عَمْرو بن عبد الله، عن مُطَرِّف بن طَرِيف، عن عامر الشَّعْبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها: عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ اللهَ تعالى لَيْلَةَ النِّصْفِ مِن شَعْبَانَ يَعْتِقُ مِنَ النَّارِ عَدَدَ شعر. يعني: غنم كلب ،. ويُنَزِّلُ أَرْزَاقَ السَّنَةِ، ويَكْتُبُ الحَاجَّ، ولا يَتْرُكُ أَحَدًا إلاَّ غَفَرَ لَهُ؛ إلاَّ قَاطِع رَحِم[14]، أو مُشْرِك أو مُشَاحِن»[15].

(6) إسناده صحيح، وأخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (1161) عن هدَّاب بن خالد عن حمَّاد، عن ثابت، وعن يزيد بن هارون عن الجريري عن أبي العلاء، وفيه: «يومين».
وانظر: «سنن أبي داود» (2328).

(7) كُتِبَ في الأصل: (نمير)، ووضع النَّاسخُ فوقها ضَبَّةً، وقال في الهامش: «لعلَّه يمن»، وهو الصَّواب كما في ترجمته في «تاريخ بغداد» (363/9).

(8) إسناده صحيحٌ، وأخرجه ابن حبَّان (3589) عن الحسين ابن محمَّد بن مُصعب عن يحيى ابن حكيم.

(9) إسناده صحيح، وأخرجه أبو عوانة في «صحيحه» (2709) عن علي بن إشكاب عن محمَّد ابن ربيعة، وله طرقٌ أخرى عن العلاء في «السُّنن» وغيرها.

(10) الحديث صحَّحه الألباني بشواهده، وأخرجه الطَّبراني في «المعجم الكبير» (224/22) من طريق عيسى بن يونس، وأخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (511) من طريق محمَّد ابن حرب عن الأحوص بن حكيم، وقال: مهاصر بن حبيب، بدل حبيب بن صهيب، وبه عنون الطَّبراني للحديث: «حبيب بن المهاصر بن حبيب عن أبي ثعلبة»، لكن أورده في الإسناد كما عند المُصنِّف.

(11) إسناده ضعيفٌ؛ لانقطاعه بين مكحول ومالك ابن يخامر، لكن صحَّحه الألباني بشواهده الَّتي خرَّجها في «السِّلسلة الصَّحيحة» (1144)، وأخرجه ابن حبَّان (5636) وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (512)، وليس فيه: «عن أبيه».

(12) إسناده ضعيفٌ جدًّا؛ لأجل محمَّد بن سعيد. وهو: ابن حسَّان الشَّامي.، قال الحافظ ابن حجر في «التَّقريب»: «كذَّبوه».
ورواه عبد الرَّحمن بن زياد بن أنعم. وهو ضعيف. عن عبادة ابن نُسَي، عن كثير بن مرَّة، عن عَوْف، أخرجه البزَّار (2754).
وفي الإسناد أيضًا ابنُ لهيعة وهو ضعيفٌ.

(13) كذا بالأصل، ولعلَّه تصَحَّفَ عن (الخرقي).

(14) كذا بالأصل: ولعلَّ الصَّوابَ: «إلاَّ لقاطع رحم...».

(15) لم أقف عليه بهذا الإسناد.
وورد عن عائشة من رواية حجَّاج عن يحيى بن أبي كثير عن عُرْوَة عنها، وضعَّفه الإمام البخاري كما نقله عنه التِّرمذي عقب الحديث (739) من «جامعه»، وذكره الألباني في «الصَّحيحة» (1144) من جملة الشَّواهد.

[10] أخبرنــا أبو عبد الله محمَّد بنُ زَيْد بن علي بن جعفر ابن مَرْوان الكوفي ـ قـراءةً عليه ببغداد وأنا حاضرٌ أسمعُ ـ، قـال: قـال العبَّاس بنُ يوسـف: أنشدني أحمد بنُ موسى بن الحَكَم:

ترى النَّاسَ يُحيُّون الضَّغائنَ بينهـم
وعند ذوي التَّقوى تموتُ الضَّغائـنُ
إذا مـا هَنَـا يومًا أخوك فلا تكن
له مُـضمرَ الشَّحنـاء فيمن يُشاحنُ

آخـرُ المجلسِ السَّابـع، والحمد لله وحدَه وصلَّى اللهُ على محمَّد وآله وسلَّم.

المجلس الحادي عشر من أمالي أبي محمَّد الحسن ابن علي الجَوْهَري عن شيوخه

تخريج: طاهر النَّيسابوري.

رواية: أبي غالب أحمد بنِ البنَّاء عن الجَوْهَري.

روايـة: أبـي حفص عُمَـر بن محمَّد ابن مَعْمَر بن طَبَرْزَد عنه.

روايـة: أبـي العبَّاس أحمـد بن عبد الدَّائم وأبي الحسـن علي بن أحمد ابن عبد الواحد.

وأبي محمَّد عبـد الوهَّاب بن محمَّد ابن إبراهيم المقدسيُّون.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله.

أخبرنـا الشَّيخـان الإمامان العالمان زيـنُ الدِّين أبـو العبَّاس أحمـد بنُ عبد الدَّائم بن نعمة، وفخرُ الدِّين أبو الحسن علي ابن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسيَّـان، قـالا: أبنا أبـو حفص عُمَر ابنُ طـبَرْزد ـ قـراءةً عليه ونحـن نسمعُ ـ، قيـل لـه: أخبركم أبو غالـب أحمد بنُ الحسـن بن عبـد الله بن البنَّـاء ـ وذلك في جمادى الأولى من سنة أربع وعشرين وخمسمائـة ـ، قثنـا الشَّيـخ أبـو محمَّـد الحسن بنُ علي الجَوْهَري، قال:

[11] أبنـا أبـو القاسـم إبراهيـم ابـنُ أحمد الخِرَقـي ـ قـراءةً عليه وأنا حاضـرٌ أسمـعُ ـ، قثنا جعفـر ـ هو: ابنُ محمَّـد الفِرْيابي ـ، قثنا قُتَيْبَة بنُ سعيد، قثنـا حمَّـاد بـنُ زَيْـد، عن أيُّـوب، عن أبـي قِلابة، عن أبي هُرَيْـرَة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُبَشِّـرُ أصحابَـه: «**قَـدْ جَاءَكُمْ شَهْـرُ رَمَضَـانَ، شَهْـرٌ مُبَـارَكٌ، فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَـهُ، تُفْتَـحُ فِيـه أَبْـوَابُ الجَنَّـة، وتُغْلَـقُ فِيـه أَبْوَابُ النَّـار، وتُغَلُّ فِيـه الشَّيَاطِينُ، وفِيـه لَيْلَـةٌ خَيْـرٌ من أَلْـف شَهْر، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَـا فَقَدْ حُرِمَ خَيْرًا كَثِيرًا**»[16].

[12] قُـرِئَ على إبراهيـم بن أحمد بـن جعفر ـ وأنـا أسمعُ وهو يسمـع فأقرَّ بـه ـ، قيل لـه: حدَّثَكُـمْ جعفر ـ هـو: ابنُ محمَّد بـن المُسْتَفاض ـ، قثنا أبو بكر ابنُ أبي شَيْبَة، قثنـا عبد الرَّحمن بنُ محمَّد [المحاربـي][17]، عن محمَّد بـن إسحاق، عـن الفَضْـل الرَّقَاشـي، عـن عمِّه، عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**هَـذَا رَمَضَانُ قَدْ جَـاءَ، تُفْتَحُ فِيه أَبْوَابُ الجِنَـان، وتُغْلَقُ فِيـه أَبْوَابُ النَّـار، وتُغَلُّ فِيـه الشَّيَاطِينُ، بُعْدًا مَـنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ ثُـمَّ لَمْ يُغْفَـرْ لَـهُ، إِذَا لَمْ يُغْفَـرْ لَـهُ فِيـه فَمَتَى؟**»[18].

[13] أخبرنـا أبـو الحسـن علي بنُ محمَّد بن أحمد بـن لُؤْلُو الورَّاق ـ قراءةً عليـه وأنا حاضـرٌ أسمـعُ ـ، قثنا محمَّد ابـنُ سُوَيْـد، قثنـا محمَّد بـنُ إسماعيل الأَحْمَسـي، قثنـا جعفر ابنُ عَـوْن، قثنا إبراهيـم بنُ [إسماعيـل][19] الأنصاري، عـن الزُّهْري، عـن عُرْوَة، عـن عائشة رضي الله عنها قالـت: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَـانَ إِيمَانًا واحْتِسَابًـا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ قَبْلَ ذَلكَ مِنْ عَمَلٍ**»[20].

[14] أخبرنـا أبـو القاسـم الخِرَقي إبراهيـم بنُ محمَّـد، قثنا جعفـر ـ هو: الفِرْيابي ـ، قثنا إسحاق بن راهويه، قال: أبنا سفيان، عن الزُّهْري، عن أبي سَلَمَة، عن أبي هُرَيْرَة: عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ له مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه**»[21].

[15] أخبرنـا أبو العبَّاس عبد الله بـنُ موسى بن إسحـاق الهاشمي ـ قراءةً عليه وأنا حاضرٌ أسمعُ في شوَّال من سنة أربـع وسبعـين وثلاثمائـة ـ، قثنا حامد ـ هـو: ابنُ شُعَيْب البَلْخـي ـ، قثنا بِشْر بنُ الوليـد، قال: أبنا إبراهيم بنُ سَعْد، عن

(16) إسنـاده صحيـحٌ، وأخرجـه أحمـد (8991)، والنَّسائي (2105)، وقال الألباني: «صحيح».

(17) في الأصل «البخاري»: والصَّواب المُثْبَت كما عند ابن أبي شيبة وكُتُبِ التَّراجم.

(18) إسنـادُه ضعيفٌ جدًّا؛ لأجـل الفضل ـ وهو: ابن عيسى بن أبـان ـ الرَّقاشي، قـال في «التَّقريب»: «منكر الحديث»، وهو في «مُصنَّف ابن أبي شيبة» (8955)، وأخرجـه الطَّبراني في «الأوسط» (7627).

(19) في الأصـل «سعيد» ووضع النَّاسـخُ فوقَها ضَبَّةً، والصَّوابُ المُثْبَت كما في التَّخريج.

(20) إسنـاده ضعيـف؛ لأجل إبراهيم بـن إسماعيل ـ وهـو: ابـن مُجَمِّع ابن يزيـد ـ الأنصـاري، وهو ضعيـفٌ كمـا في «التَّقريـب»، وهو عنـد ابن أبي شيبة في «المُصنَّف» (8877) بنحوه.
وانظر: «العلل للدَّارقطني» (10/15).
وقـد رَوَى الحديـثَ جماعـةٌ من الحفَّاظ عـن الزُّهري، لكن في فضل القيام، أخرجـه النَّسائي في «السُّنن الكبرى» (1297) وغيره.

(21) إسنـاده صحيح، وأخرجـه البخاري (1802، 1910)، ومسلـم (1817) من طـرق عن أبي سلمة.

ابن شهاب، عن عُبَيْد الله بن عبد الله، عن ابن عبَّاس قال: «كان رسول الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاس بالخير، وكان أَجْوَدَ ما يكونُ في شهر رمضان حين يلقى جبريلَ، وكان جبريلُ عليه السلام يلقاه كلَّ ليلة يَعرضُ رسولُ الله ﷺ، حتَّى ينسلَّ الشَّهرُ، فإذا لَقِيَه جبريلُ كان رسولُ الله ﷺ أَجْوَدَ بالخير من الرِّيح المُرسَلَة»[22].

[16] حديثًا قرأناه على أبي الحسين محمد بن المُظفَّر، قلنا: حدَّثكم أبو الحسن علي بنُ أحمد بن سليمان، ثنا يزيد بنُ سنان، ثنا نائل بنُ نجَيح، ثنا أبو العَطوف الجَزَري، عن الزُّهْري، عن أبي سَلَمَة، عن أبي هُرَيْرَة قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«هَـذَا شَهْرُ رَمَضَانَ، فَمَنْ صَامَهُ إِيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه»**[23].

[17] أخبرنا محمَّد بنُ المُظفَّر ابن موسى البزَّاز. قراءةً عليه وأنا حاضرٌ أسمعُ.، ثنا أبو بكر محمَّد بنُ زياد ابن حبيب، ثنا زكريَّا بنُ يحيى القُضاعي كاتب العُمَري، ثنا المُفَضَّل بنُ فَضالة قال: وحدَّثني يحيى بنُ أيُّوب، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمَّد بن عَمْرو ابن حزم، عن ابن شهاب، عن سالم، عن أبيه، عن حفصة زوج النَّبيِّ صلَّى الله عليه أنَّه قال: **«مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصِّيَامَ قَبْلَ طُلُوعِ الفَجْرِ فَلاَ صِيَامَ لَهُ»**[24].

(22) إسناده صحيحٌ، وأخرجه البخاري (1902، 4997)، ومسلم (2308) من طريقَيْن عن إبراهيم بن سعد.

(23) إسناده ضعيفٌ جدًّا؛ لأجل أبي العطوف الجزري الجرَّاح ابن منهال، فقد ترجمه الذَّهبي في «ميزان الاعتدال» (115/2) ونقل عن البخاري ومسلم قولهما فيه: «منكر الحديث»، وعن النَّسائي والدَّارقطني: «متروك»، ونائل ضعيف.

(24) مُختَلَفٌ في وقفه ورفعه، أخرجه أبو داود (2454)، والتِّرمذي (730)، والنَّسائي (2330)، من طرق عن عبد الله بن أبي بكر.

[18] أخبرناه محمَّد بنُ المُظفَّر الحافظ. قراءةً عليه وأنا حاضرٌ أسمعُ.، ثنا أحمد بنُ يوسف بن الضَّحَّاك، ثنا إسماعيل بنُ مسعود، ثنا بِشْر بنُ المُفَضَّل، ثنا عبد الرَّحمن بنُ إسحاق، عن الزُّهْري، عن حمزة بن عبد الله ابن عُمَر، عن أبيه، عن حَفْصَة أنَّها قالت: «لاَ صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ قَبْلَ الفَجْرِ»[25].

[19] وقرأناه على أبي الحسين ابن المُظفَّر الحافظ. وهو يسمعُ وأَقَرَّ به.، قلنا: حدَّثكُمْ محمَّد بنُ مَحَمَّد ابن سليمان، ثنا عتَّاب بنُ جعفر، ثنا مَعْن ابنُ عيسى، ثنا إسحاق بنُ حازم، عن عبد الله بن أبي بكر، عن سالم، عن ابن عُمَر، عن حفصة: عن النَّبيِّ ﷺ قال: **«لاَ صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ مِنَ اللَّيْلِ»**[26].

(25) رواية عبد الرَّحمن بن إسحاق موقوفةً على حفصة، وكذلك رواه جماعة من الثِّقات عن الزُّهري، منهم: معمر وابن عيينة وغيرهما، انظر: «السُّنن» للنَّسائي (2335. 2340).

(26) أخرجه الطَّبراني في «الأوسط» (9094) من طريق معن به، وأخرجه ابن ماجه (1700) من طريق خالد القطواني عن إسحاق بن حازم.
وقال ابن أبي حاتم: «وسألتُ أبي عَنْ حديث رَوَاهُ مَعْن القَزَّاز، عَن إسحاق بن حازم، عن عبدِ الله بن أبي بكْر، عن سَالم، عن أبيه، عن حفصَة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: لاَ صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يَنْوِ مِنَ اللَّيْلِ.
وَرَوَاهُ يَحْيَى بن أيُّوب، عن عبدِ الله بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَن الزُّهْري، عَنْ سَالمٍ، عَنْ أبيه، عَن حَفْصَةَ، عن النَّبيِّ ﷺ.
قلتُ لأَبي: أيُّهما أصَحُّ؟
قَالَ: لا أدري؛ لأنَّ عبدَ الله بْنَ أَبِي بَكْرٍ قَدْ أَدْرَكَ سَالمًا وَرَوَى عَنْهُ، وَلا أَدْرِي هَذَا الحديثَ ممَّا سَمِعَ مِنْ سَالم، أَوْ سَمِعَهُ مِنَ الزُّهْري عَنْ سَالم؟
وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الزُّهْري، عن حمزة بن عَبد الله بن عُمَرَ، عن حَفْصَة، قولَهَا، غيرَ مَرْفُوع؛ وَهَذَا عِنْدي أَشْبَهُ، والله أعلم» «العلل» (9/3)».
وقد اخْتُلِفَ في الحديث رفعًا ووَقْفًا على حفصة، ورجَّحَ الألباني رفعَه، وصحَّحه لإفتاء عبد الله بن عمر وحفصة وعائشة به انظر: «العلل» للدَّارقطني (193/15)، و«البدر المنير» (650/5)، و«الإرواء» (26/4).

[20] أبنا إبراهيم بنُ أحمد الخرَقي. قراءةً عليه وأنا حاضرٌ أسمعُ.، ثنا جعفر. هو: الفِرْيابي.، ثنا محمَّد بنُ أبي السَّريِّ وعبَّاس العَنْـ ـَي، قالا: ثنا عبد الرَّزَّاق، ثنا مَعْمَر، عن الزُّهْري، عن ابن المسيِّب عن أبيه قال: كنتُ جالسًا عند عُمَر إذْ جاءه راكبٌ من أهل الشَّام، فطَفِقَ عُمَرُ يستَخْـ ـه عن حالهم فقال: هل يعجِّل أهلُ الشَّام الإفطار؟ قال: نعم، قال: «لَنْ يَزالُوا بخير ما فعلوا ذلك ولم يَنْتَظِرُوا النُّجومَ انتظارَ أهل العراق»[27].

[21] أخبرنا أبو علي أحمد بنُ محمَّد العَطَشي. قراءةً عليه وأنا أسمعُ.، ثنا علي بنُ حمَّاد بن هشام، ثنا كَرْدُوس بنُ محمَّد، ثنا يزيد بنُ هارون، قال: أبنا عبد الملك بنُ أبي سليمان، عن عطاء، عن زَيْد بن خالد قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لاَ يَزَالُ النَّاسُ بخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ؛ فَإِنَّ اليَهُودَ والنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ»**[28].

[22] أخبرنا أبو عبد الله محمَّد بنُ زَيْد الكوفي الأَبْزاري. قراءةً عليه ببغداد وأنا حاضرٌ أسمعُ في ذي الحجَّة من سنة ستٍّ وسبعين وثلاثمائة قَدِم علينا.، ثنا محمَّد بنُ إبراهيم ابن أبان، ثنا مجاهد بنُ موسى، ثنا حمَّاد بنُ خالد الخيَّاط، ثنا معاوية بنُ صالح، عن يونس بن سَيْف، عن الحارث بن زياد، عن أبي رُهْم، عن العِرْباض بن سارية، قال: دعاني رسولُ الله ﷺ إلى السَّحور في رمضان فقال: **«هَلُمَّ إلى الغَدَاء**

(27) هو في «المُصنَّف» لعبد الرَّزَّاق (7589).

(28) إسناده حسنٌ، وللحديث شواهدُ؛ منها حديث سهل بن سعد رضي الله عنه في «صحيح مسلم» (1098).

المُبَارَك»[29].

[23] قرأناه على أبي علي محمَّد ابن أحمد بن يحيى العَطَشي. وهو يسمعُ فأقرَّ به.، قلنا: حدَّثكم محمَّد ابنُ العبَّاس النَّسائي، قثنا محمَّد ابنُ عبد المجيد التَّميمي، قثنا عبد الرَّحمن ابنُ مهدي، عن معاوية بن صالح، عن يونس بن سيف، عن الحارث بن زياد، عن أبي رُهْم، عن العِرْباض بن سارية السُّلمي قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يدعو في شهر رمضان وهو يقول: «**هَلُمُّوا إِلَى الغَدَاءِ المُبَارَك**»[30].

[24] أخبرنا محمَّد بنُ المُظَفَّر الحافظ. بقراءة ابن البقَّال قرأه عليه وأنا حاضر أسمع وهو يسمعُ فأقرَّ به.، قال: حدَّثكم أبو عَرُوبة الحسين ابنُ محمَّد بن مَوْدُود بحرَّان، قثنا أبو الحسين الرُّهاوي، قثنا أبو قتادة، ثنا الثَّوري، عن منصور، عن نُعَيْم بن أبي هند، عن رِبْعِي، عن حُذَيْفة قال: «مِنْ أَخْلاقِ الأنبياء: تأخيرُ السُّحور، وتعجيلُ الإفطار، ووضعُ اليمين على الشِّمال»[31].

[25] أخبرناه أبو عُمَر بن حَيْوَة. قراءةً عليه وأنا حاضرٌ أسمعُ.، قثنا أبو عُبَيْد الصُّوفي محمَّد بنُ أحمد، قثنا أبي، قثنا بِشْرٌ. هو: ابنُ محمَّد السُّكَّري.، قثنا عبد الحَكَم، عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مِنْ أَخْلَاقِ النُّبُوَّة: تَعْجِيلُ الإِفْطَار، وتَأْخِيرُ السُّحُور، وَوَضْعُ اليَمِينِ الأَيْدِي على الأَيْدِي فِي الصَّلَاةِ**»[32].

[26] أخبرنا عُمَر بنُ أحمد بن هارون المقرئ. قراءةً عليه وأنا حاضرٌ أسمعُ.، قثنا الحسين بنُ إسماعيل الضَّبِّي، قثنا عبد الله بنُ شَبيب، قثنا يحيى الحارثي، قال: حدَّثني عبد الرَّحمن بنُ زَيْد بن أَسْلَم، عن أبيه، عن ابن عُمَر: عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**نِعْمَ غَدَاءُ المُؤْمِنِ السَّحُور، إِنَّ الله ومَلائكَتَهُ يُصَلُّونَ على المُتَسَحِّرِينَ**»[33].

[27] أخبرنا أبو بكر محمَّد بنُ عبد الله بن الشِّخِّير الصُّوفي. قراءةً عليه وأنا حاضرٌ أسمعُ.، قثنا أبو إسحاق إبراهيم بنُ محمَّد بن جعفر الكِنْدي، قثنا حسين بنُ بيان الشُّلاثايي[34]، قثنا سيف بنُ محمَّد، قثنا غالب ابنُ عُبَيْد الله، عن عطاء، عن أبي هُرَيْرَة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**تَسَحَّرُوا ولَوْ بِحَبَّة**»[35].

[28] أخبرنا أبو الحسن علي بن محمَّد بن كَيْسان. قراءةً عليه وأنا حاضرٌ أسمعُ.، قثنا يوسف. هو: ابنُ يعقوب القاضي.، قثنا محمَّد بنُ أبي بكر، قثنا عبد الواحد ابنُ ثابت الباهلي، قثنا ثابت، عن أنس: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**تَسَحَّرُوا ولَوْ بجَرْعَة مَاء**»[36].

[29] حدَّثنا محمَّد بنُ العبَّاس السُّوسي. بلفظه وأنا حاضرٌ أسمعُ.، قثنا عبد الله بنُ أحمد، قثنا أبي، قال: كتب محمَّد بنُ عبد الله بن طاهر[37] إلى جارية كان يحبُّها:

ماذا تقولين فيمن شفَّه سَقَمٌ
مِنْ جَهْد حبِّك حتَّى صار حيرَانَا

فأجابته الجارية:

إذا رأينا مُحبًّا قد أَضَرَّ به
جهدُ الصَّبابة أَوْلَيْناه إحسَانًا

آخر المجلس الحادي عشر، والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وسلم

(29) إسناده ضعيف؛ لأجل الحارث بن زياد، قال في «التَّقريب»: «ليِّن الحديث»، وأخرجه أبو داود في «السُّنن» (2344) من طريق حمَّاد بن خالد به، لكنَّ الحديثَ صحيحٌ له عدَّةُ شواهدَ أوردها الألباني في «السِّلسلة الصَّحيحة» (2983).

(30) أخرجه النَّسائي (2163)، وابن حبَّان (3465/244/8) من طريق عبد الرَّحمن بن مهدي به.

(31) إسناده ضعيف جدًّا، فيه أبو قتادة الحرَّاني عبدُ الله بن واقد، وهو متروك.

(32) إسناده ضعيف؛ لأجل عبد الحكم. وهو: ابن عبد الله القسملي.، منكر الحديث كما قال البخاري، وقال أبو نعيم: روى عن أنس نسخةً مُنْكَرَةً لا شيءَ، وله شاهد من حديث أبي الدَّرداء ﵁ أخرجه الطَّبراني، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع الصَّغير» (3038).

(33) إسناده ضعيف؛ لأجل عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم، فهو ضعيفٌ كما في «التَّقريب»، وأخرجه ابن أبي الدُّنيا في «فضائل رمضان» (61).

(34) نسبةً إلى شُلاثَا: قريةٌ بنواحي البصرة، «الأنساب» (429/7).

(35) إسنادُه ضعيفٌ جدًّا؛ لأجل غالب بن عُبَيْد الله العقيلي الجزري، قال الدَّارقطني وغيره: «متروك»، وقال ابن معين: «ليس بثقة»، ذكره الذَّهبي في «الميزان» (331/3)، والحديث أورده الدَّيلمي في «الفردوس» (2311).

(36) إسناده ضعيف؛ لأجل عبد الواحد بن ثابت الباهلي، قال البخاري: «منكر الحديث»، ترجمه في «ميزان الاعتدال» (671/2)، ونصَّ أنَّه انْفَرَدَ بالحديث، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (3340) عن محمَّد بن أبي بكر، وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو ﵄، أخرجه ابن حبَّان (3476/253/2) وإسناده حسن.

(37) هو: أبو العبَّاس الخُزَاعي الخراساني، ولَّاه المُتوكِّل أميرًا على بغداد، وكان جوادًا، أميرًا شاعرًا، أخباره في: «تاريخ بغداد» (421/5)، و«الوافي بالوفيات» (248/3).



مَأْسَاةُ الحِجَابِ

عبد الله رحيل
إمام أستاذ ـ تلمسان

أَلا فَابْكُوا وَنُوحُوا يَا شَبَابُ ... وَصِيحُوا إِنَّهُ مَاتَ الحِجَابُ
لَقَدْ فُقِدَ الَّذِي قَدْ كَانَ يَحْمِي ... لَنَا الأَعْرَاضَ مِمَّا قَدْ يُعَابُ
ثَوَى بِمَقَابِرِ النِّسْيَانِ فَرْدًا ... كَمَيْتٍ مَا لَهُ فِينَا إِيَابُ
وَأَضْحَتْ بَعْدَهُ الأَعْرَاضُ تَبْكِي ... يَتَامَى مَا لَهَا حَامٍ يُهَابُ
وَفِي أَمْسٍ قَرِيبٍ كَانَ حِصْنًا ... حَصِينًا فِيهِ قَدْ رَحُبَ الجَنَابُ[1]
وَقِدْمًا لِلفَضِيلَةِ كَانَ بَحْرًا ... خِضَمًّا لاَ يُشَقُّ لَهُ عُبَابُ
فَغَاضَ البَحْرُ ـ وَاعَجَبًا ـ وَأَقْوَتْ ... مِنَ الحِصْنِ الجَوَانِبُ وَالرِّحَابُ
دَعَتْ جُدْرَانُهُ بَعْضًا لِبَعْضٍ ... إِلَى اللُّقْيَا فَكَانَ لَهَا إِجَابُ[2]
فَكَانَ لَهَا التَّحَطُّمُ ثُمَّ خَرَّتْ ... عَلَيْهَا السَّقْفُ فَهْيَ إِذًا خَرَابُ
وَمَا بَقِيَتْ بِهِ إِلاَّ طُلُولٌ ... عَلَى أَرْجَائِهَا نَعَبَ الغُرَابُ
وَقَدْ صَارَ الحَيَاءُ بِدُونِ مَأْوَى ... وَأَنَّى تَسْكُنُ الأَرْضُ اليَبَابُ
وَمَعْ هَذِي المُصِيبَةِ هَلْ تَرَى مِنْ ... حَزِينٍ شَفَّهُ هَذَا المُصَابُ؟
وَهَلْ بَكَتِ النَّوَائِحُ فِي النَّوَاحِي ... عَلَيْهِ أَوْ لَهُنَّ بَدَا انْتِحَابُ؟
أَلاَ لاَ، بَلْ سُرِرْنَ وَقَدْ تَبَدَّتْ ... ضَوَاحِكُهُنَّ مِنْ فَرَحٍ وَنَابُ
فَرِحْنَ بِمَا يَجُرُّ لَهُنَّ عَارًا ... وَعُقْبَاهُ فِي الآخِرَةِ العَذَابُ
تَبَصَّرْ فِي الشَّوَارِعِ هَلْ تَرَى مِنْ ... فَتَاةٍ زَانَهَا ذَاكَ الحِجَابُ؟
تَأَمَّلْ هَلْ تَرَى بِنْتًا عَلَيْهَا ... سَوَابِغُ مِنْ ثِيَابٍ أَوْ نِقَابُ؟
فَكَلاَّ لَنْ تَرَى إِلاَّ سُفُورًا ... وَعُرْيًا وَهْوَ لِلأَنْعَامِ دَابُ[3]
تَبَرَّجَتِ النِّسَاءُ بِهِ وَأَبْدَتْ ... مَفَاتِنَهَا المَلاَبِسُ وَالثِّيَابُ
ثِيَابٌ كَالزُّجَاجِ يَنُمُّ جَهْرًا ... بِمَا فِيهِ فَلَيْسَ لَهُ احْتِجَابُ
وَأُخْرَى عَنْ مَقَاسِ الجِسْمِ ضَاقَتْ ... كَمَا ضَاقَتْ بِمَبْعِجِهَا الضِّبَابُ[4]
وَإِنْ بَرَزَتْ بِفُسْتَانٍ قَصِيرٍ ... فَذَاكَ لِمِحْنَةِ الشُّبَّانِ بَابُ

يَضِيقُ عَلَى أَعَالِيهَا فَتَبْدُو ... مَحَاسِنُ مَنْ هِيَ الرُّؤْدُ الكَعَابُ

وَيَقْصُرُ عَنْ أَسَافِلِهَا فَحَدِّثْ ... وَلاَ حَرَجٌ عَلَيْكَ وَلا عِتَابُ!

وَأَمَّا شَعْرُهَا وَالجِيدُ أَيْضًا ... فَبَادٍ مِثْلَ مَا تَبْدُو الظِّرَابُ

وَقَدْ لاَحَتْ بِصَفْحَتِهَا خِدَاعًا ... مَسَاحِيقٌ كَمَا لاَحَ السَّرَابُ

فَهَذَا دَأْبُهُنَّ وَكُلَّ يَوْمٍ ... يَزِيدُ الأَمْرُ سُوءًا وَالمُصَابُ

فَيَا أَسَفَى عَلَى الأَعْرَاضِ أَضْحَتْ ... مِنَ الأَغْرَاضِ أَسْهَلَ مَا يُصَابُ

تَقَاسَمَهَا ذَوُو فِسْقٍ وَبَغْيٍ ... كَشَاةٍ حِينَ مَزَّقَهَا الذِّئَابُ

وَلَمْ لاَ يَظْفَرُونَ بِهَا بِيُسْرٍ ... وَقَدْ ذَهَبَ الحُمَاةُ لَهَا وَغَابُوا؟!

وَجَوٌّ قَدْ خَلاَ وَالصَّيْدُ دَانٍ ... كَلَحْمٍ حَوْلَهُ طَافَ الكِلاَبُ

فَلاَ مِنْ غَيْرَةٍ بَقِيَتْ وَلاَ مِنْ ... غَيُورٍ إِذْ قَدِ انْتُهِكَ الحِجَابُ

بَلِ الدَّيُّوثُ صَالَ اليَوْمَ فَخْرًا ... عَلَى عَفٍّ، وَذَا العَجَبُ العُجَابُ

أَلاَ يَا مُسْلِمِينَ لَقَدْ دُهِيتُمْ ... بِدَاهِيَةٍ تُقَدُّ لَهَا الرِّقَابُ

أَلَسْتُمْ تَبْصُرُونَ بِكُلِّ نُكْرٍ ... غَدَتْ أَعْرَاضُكُمْ مِنْهُ تُصَابُ؟!

دُعَاةٌ لِلتَّبَرُّجِ كُلَّ وَقْتٍ ... شَيَاطِينَ الفَوَاحِشِ قَدْ أَجَابُوا

وَإِعْلاَمٌ يُزَيِّنُ كُلَّ خُبْثٍ ... وَكُلُّ المَكْرُمَاتِ بِهِ تُعَابُ

وَأَسْوَاقٌ تُرَوِّجُ كُلَّ عُرْيٍ ... يُبَاعُ لَنَا وَأَنْفُسُنَا طِرَابُ!

وَحَارَبَنَا الأَعَادِي كَيْ يُبِيدُوا ... فَضَائِلَنَا وَمَا مِنَّا حِرَابُ!

فَعُلِّلْنَا بِكَأْسِ الذُّلِّ حَتَّى ... ثَمِلْنَا غَيْرَ أَنَّ الكَأْسَ صَابُ

فَهَلاَّ عَوْدَةٌ لِلدِّينِ تُدْنِي ... تَبَاعُدَنَا وَقَدْ طَالَ الغِيَابُ

وَتَهْتِكُ سِتْرَ غَفْلَتِنَا وَتُحْيِي ... ضَمَائِرَنَا كَمَا حَيِيَ التُّرَابُ

وَتُرْجِعُ ذُلَّنَا مِنْ بَعْدُ عِزًّا ... وَمَجْدًا قَبْلُ كَانَ لَهُ ذَهَابُ

أَلاَ يَا مَعْشَرَ الآبَاءِ صُونُوا ... خَرَائِدَكُمْ فَزِينَتُهَا الحِجَابُ

وَيَا شُمَّ الأُنُوفِ العُرْبَ فَاحْمُوا ... حِمَاكُمْ أَوْ سَتَنْهَشُهَا الذِّئَابُ

وَيَا حُصُنَ الفُرُوجِ مُطَهَّرَاتٍ ... أَلا تَقْفُونَ مَا فَرَضَ الكِتَابُ؟!!

لَقَدْ فَرَضَ الحِجَابَ بِنَصِّ آيٍ ... لَدَى (الأَحْزَابِ) لَيْسَ لَهُ احْتِجَابُ

وَفِيهَا عَنْ تَبَرُّجِكُنَّ نَهْيٌ ... صَرِيحٌ وَاضِحٌ فِيهِ الخِطَابُ

وَفِي قَوْلِ الرَّسُولِ وَعِيدُ صِدْقٍ ... كَمَا فِي مُسْلِمٍ نَقَلَ الصِّحَابُ:

«نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ ... مُمِيلاَتٌ...» لَهُنَّ غَدًا عَذَابُ

وَمِنْ أَهْلِ الجَحِيمِ غَدَوْنَ حَقًّا   إذَا لَمْ يَنْتَشِلْهُنَّ المَتَابُ
فَيَا أَخَوَاتِنَا هَلاَّ رُجُوعٌ   إِلَى النَّهْجِ الَّذِي فِيهِ الصَّوَابُ
وَهَلاَّ تَحْتَجِبْنَ فَذَاكَ خَيْرٌ   مِنَ العُرْيِ الَّذِي فِيهِ التَّبَابُ
وَفِيهِ العَارُ وَالخُسْرَانُ دُنْيَا   وَآخِرَةً، وَهَانَ بِهِ الجَنَابُ
أَلاَ إِنَّ الحِجَابَ لَكُنَّ عِزٌّ   وَفَخْرٌ وَالعَفَافُ لَهُ لُبَابُ
وَفِيهِ لِلحَيَاءِ أَنِيقُ رَوْضٍ   لَهُ عَبَقٌ وَثُمْرٌ تُسْتَطَابُ
وَحِصْنٌ شَامِخٌ إِنْ مُدَّ طَرْفٌ   إِلَيْهِ عَادَ مُنْخَسِئًا يَهَابُ
أَلاَ لاَ تَنْخَدِعْنَ بِكُلِّ دَعْوَى   مُنَمَّقَةٍ حَقِيقَتُهَا سَرَابُ
شِعَارَاتُ التَّحَرُّرِ أَوْ سِوَاهُ   قُصَارَاهَا لِلاَعْرَاضِ انْتِهَابُ
وَلاَ تَتْبَعْنَ آثَارَ البَغَايَا   وَهُنَّ لِكُلِّ شِنْظِيرٍ[5] رِكَابُ
رِكَابٌ بِانْتِهَابٍ أَنْحَلُوهَا   كَمَا فَعَلَتْ بِجِيفَتِهَا العُقَابُ
وَلاَ تَكُ قُدْوَةً نِسْوَانُ كُفْرٍ   لَكُنَّ وَلَوْ لَهُنَّ عَلاَ نِصَابُ
فَإِنَّ عُلُوَّهُنَّ إِلَى سُفُولٍ   وَإِنَّ نَعِيمَهُنَّ لَهُ انْقِلاَبُ
وَهُنَّ كَمَا البَهَائِمُ سَارِحَاتٌ   بِغَابٍ وَالوُحُوشُ لَهَا اسْتِلاَبُ
أَلاَ فَلْتَقْتَدِينَ بِخَيْرِ جِيلٍ   عَلَى سَنَنِ النُّبُوَّةِ لا يُعَابُ
بِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ وَأُمَّهَاتٍ   لَكُنَّ بِمَدْحِهِنَّ أَتَى الكِتَابُ
فَعُدْنَ إِلَى الهُدَى مِنْ قَبْلِ يَوْمٍ   يَحِلُّ الخِزْيُ فِيهِ وَالعِقَابُ
وَإِنِّي قَدْ بَذَلْتُ النُّصْحَ جَهْدِي   وَعِنْدَ اللهِ يُحْتَسَبُ الثَّوَابُ
هُوَ المَحْمُودُ فِي الدُّنْيَا وَالاُخْرَى   وَمَرْجِعُنَا إِلَيْهِ وَ المَآبُ
وَنَسْأَلُهُ صَلاَةً مَعْ سَلاَمٍ   عَلَى مَنْ كَانَ شِرْعَتَهُ الحِجَابُ
مُحَمَّدٍ المُتَمِّمِ كُلَّ خَيْرٍ   وَآلٍ بَعْدَهُ وَكَذَا الصِّحَابُ

(1) الجناب هنا: الفِنَاءُ [انظر القاموس المحيط مادة جنب].
(2) الإجاب: الإجابةُ.
(3) الدأب: العادة.
(4) الضِّباب بالكسر جمع ضب، وهذا مَثَلٌ، يقال: أَضْيَقُ مِنْ مَبْعِجِ الضَّبِّ، هو مُسْتَقَرُّ الضب في جحره حيث يبعجه : أي يشقه ويُوَسِّعُه، قاله في مجمع الأمثال (1/724).
(5) الشنظير: الفَحَّاشُ السَّيِّئُ الخُلُق. [انظر القاموس المحيط مادة شنظر].

كرامات الأولياء

بين الغلو والجفاء



أ. د عبد الرزاق البدر

المدينة النبوية



لمَّا كان أمر «كرامة الأولياء» قد غلا فيه بعض النَّاس، وجفا فيه بعضهم، وتوسَّط فيه آخرون؛ أحببتُ أن أُسهم بهذه المقالة، راجيًا اللهَ الكريم أن تكون نافعةً مفيدةً خالصةً لوجهه، مطابقةً لسنَّة نبيِّه ﷺ.

■ أوَّلاً: ما هي الكرامة؟

الكرامة - كما يقول أهل العِلم -: هي أمرٌ خارقٌ للعادة، يجريه الله على يد من يشاء من أوليائه؛ تأييدًا لهم في أمرٍ دينيٍّ أو دنيويٍّ؛ وهي ضدُّ الإهانة.

فإمَّا أن يحتاج الوليُّ إلى حجَّة وبرهانٍ وعونٍ في ذلك فيُكرمه الله ﷻ بأمرٍ خارقٍ للعادَة، يكون حجَّةً له ودليلاً على دعوته الصَّحيحة المستمدَّة من الكتاب والسُّنَّة.

وإمَّا أن يحتاج الوليُّ إلى أمرٍ دنيويٍّ، كاحتياجه مثلاً إلى الطَّعام أو الشَّراب، أو غير ذلك، فيُكرِمه الله ﷻ بأمرٍ خارقٍ للعادة، فيكون فيه مساعدةٌ له على ذلك.

وأعظم الكرامات وأجلُّها وأرفعها قدرًا وأعلاها منزلةً كرامة الإيمان، ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الحجرات]، فهي منَّةٌ من الله جسيمةٌ، ونعمةٌ من الله عظيمةٌ، وكرامةٌ من الله لعباده.

■ ثانيًا: من هم الأولياء؟

بيَّن الله ﷻ لنا حقيقة الأولياء في القرآن الكريم، فلا حاجةَ إلى بيانٍ بعد بيانه ﷻ، ففي القُرآن الكريم أنَّ الوليَّ هو المؤمن التَّقيُّ، قال الله ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة يونس].

وأهل العلم يقولون: إذا اجتمع الإيمان والتَّقوى؛ فإنَّ الإيمان يراد به فعل الأوامر، والتَّقوى يراد بها ترك النَّواهي.

فمعنى ذلك أنَّ الأولياء هم القائمون بأوامر الله تعالى، المنتهون عن نواهيه،

الواقفون عند حدوده.

أمَّا أدعياء الوَلاية - ويكثُرون في مثل جماعة الصُّوفيَّة المنتشرة في العالم الإسلامي -؛ فهؤلاء في الحقيقة أفعالهم وأقوالهم تدلُّ على أنَّهم ليسوا أولياء للرَّحمن؛ لأنَّ الوليَّ هو المؤمن التَّقي الَّذي يمتثل أوامر الله تعالى، وينتهي عمَّا نهى الله تعالى عنه، بينما إذا نظرت إلى أفعال هؤلاء تجد أنَّ كثيرًا منها مجانبٌ للإيمان والتَّقوى؛ فتجد فيهم من يعتقد أنَّه وصل إلى درجة هو أرفع فيها من أن يعبُد الله تعالى! والله عَجَّلَ يقول لنبيِّه ﷺ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سُورَةُ الحِجْرِ]، أي: استمرَّ على عبادة الله إلى أن تموت، وهكذا شأن أتباعه ﷺ، ولهذا يعتقدون أنَّ الوليَّ - على اصطلاحهم - بلغ منزلة لا يأتي الكعبةَ ويطوف بها، بل هو أرفع من ذلك، بل هي الَّتي تأتي إليه لتطوف به!

فعلى سَبيل المثال في كتَاب «إحياء علوم الدِّين» (243/1) يقول الغزالي: «يقال: إنَّ لله تعالى عبادًا تطوف بهم الكعبةُ تقرُّبًا إلى الله عَجَّلَ».

ويذكُر أحدُهم أنَّه رأى في المنام أنَّ النَّبيَّ ﷺ شدَّ الرِّحال إلى قرية الرِّفاعي، والكعبة تسير معه! وقد قال ﷺ في تلك الرُّؤيا: ها أنا والكعبة زائرون! وجلس ينادي أهلَ القرى في طريقه أن يزوروا معه الشَّيخ أحمد الرِّفاعي!

ثمَّ تبيَّن للرَّاوي أنَّ الرُّؤيا حقيقة! فقام وذهب إلى قرية الرِّفاعي مشاركًا موكب النَّبيِّ ﷺ، والكعبة ذاهبةٌ معه إلى ذلك المكان![1]

وفي كتاب «تبليغي نصاب»[2] الَّذي هو عُمدةٌ عند «جماعة التَّبليغ»: أنَّ الكعبة تذهب وتطوف بالأولياء.

بل إنَّ هذا الضَّلال دخل في بعض كُتبِ الفقه المعتمدة في المذهب الحنفي، ففي «البحر الرَّائق» لابن نجيم و«ردُّ المُحتار» لابن عابدين، في مسألة استقبال القبلة، «الكعبة إذا رُفِعَتْ عن مكانها لزيارة أصحاب الكَرَامَة ففي تلك الحالة جازت صلاةُ المُتَوَجِّهين إلى أرضها»[3].

والشَّاهد مفارقة هؤلاء لهذا الجانب من الولاية ألا وهو فعل المأمور.

أمَّا ما يتعلَّق بترك المَنهيِّ؛ فإنَّ من أشْنَع ذلك أنَّ بعضَهم ارتكَبَ الفواحشَ المُحرَّمَة ومارسها تحت مُسمَّى الكرامة.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في ترجمة عليِّ بن وحيش في كتاب «طبقات الصُّوفية» للشَّعراني قال: «الشَّيخ عليُّ ابن وَحيش صاحب الكرامات، ومن كراماته أنَّه إذا جاء شيخ قرية إلى قريتهم على حِمارة، يذهب إليه ويقول له: انزل عن الحمارة وأمسك لي رأسها حتَّى أفعل بها!»[4].

فأيُّ وَلاية لله هذه نعوذ بالله من سخطه وأليم عقابه؟!

ثمَّ إنَّ القوم أهل مكر وخديعة، عندهم قواعد يقعِّدونها لأتباعهم، حتَّى لا يُحاول أحدٌ أن يعترض عليهم، أو أن ينكر شيئًا من أعمالهم وأقوالهم.

فمن ذلك قولهم وتلقينهم للمُريد: «لا تَعتَرض فتَنْطَرِد»، أو «سلِّم تَسلَم»، أو «كُن عند الشَّيخ كالميِّت عند مُغسِّله»، فالشَّيخ لا يقال له: لمَ؟

فهذا وما قبله كلُّه ليس من الولاية ولا من الكِرامة في شيء، وأولياء الله قد يُجرِي الله تعالى على أيديهم شيئًا من الكرامات[5].

■ وفي حصول هذه الكرامات لهم مصالح عديدةٌ، من أهمِّها:

أوَّلا: أنَّ فيها إظهارَ قدرة الله تعالى. فمثلا: لم تجر سنَّةُ الله الكونيَّة أن يخرج الطَّعامُ أو الماءُ من بين الأصابع، وليس من السُّنة الكونيَّة أن تضيء العصا نورًا، وهكذا...

فالله عَجَّلَ يخرق هذه السُّنة فيجري

(1) «روضة الناظرين» (ص 59).

(2) ومؤلفه هو محمد زكريا بن محمد يحيى بن إسماعيل الكاندهلوي المدني (ت: 1402هـ).

(3) «رد المحتار على الدر المختار» (114/2).

(4) «الطبقات الكبرى» للشَّعراني (129/2) بتصرُّف.

(5) انظر: «الفتاوى» (325/11).

آيةً وكرامةً على يـد الوليِّ، فتظهر قدرةُ الله تعالى، وأنه على كلِّ شيءٍ قدير.

ثانيًا: أنَّهـا آيةٌ للنَّبـيِّ، كما قال بعض أهـل العلـم: «كلُّ كرامـة للوليّ هـي آيةٌ للنَّبـيِّ»؛ لأنَّها إنَّما حصلـت للوليِّ ببركة اتِّباعه للنَّبيِّ، وبطاعته له.

ثالثًا: أنَّ فيها تعجيل البُشرى للوليِّ؛ فـالله عَجَّلَ قد يكرم من يشاء من أوليائه بكرامـة مـن الكرامـات، وأمـرٍ خـارق للعادات فيكونُ فيه بشرى له.

لكن ليس كلُّ أمرٍ خارقٍ للعادة دليلاً علـى الوَلاية، ولهـذا ينبغـي للمسلم ألاَّ يغتَرَّ بالكرامة، ولا يجعلها هدَفه.

قال بعضُ أهـل العلم: «لا يكُن همُّك الكرامة، وليكن همُّك الاستقامة»[6].

فمـن لم تحصل على يديـه كرامة، لا ينبغـي أن يظـنَّ أنَّ ذلك دليلٌ على أنَّه ليـس من أولياء الله، بـل إنَّه قد تحصل للرَّجل الَّـذي هو أقلُّ منزلـةً كرامةٌ، ولا تحصل على يد من هو أعلى منه منزلةً؛ لحكمـة أرادهـا الله تعـالى، كأن يكـون الرَّجـل إيمانـه أضعفَ مـن غيره، فالله عَجَّلَ يكرمـه بذلـك حتَّى يتقـوَّى إيمانُه، فيـزداد إيمانًا وطاعـةً لله عَجَّلَ، وحبًّا له وتصديقًا بشرعه.

والمهمُّ أنَّه ينبغي ألاَّ يكونَ همُّ الإنسان حصـولَ الكرامة، وليكن همُّه طاعةَ الله والاستقامـة علـى شرعـه، والموت على ذلـك، كما قـالَ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ].

فأفضل كرامة هـي الاستقامة، قال شيـخ الإسلام ابـن تيميَّـة رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنَّما غايـة الكرامـة لـزومُ الاستقامـة، فلم يُكـرم اللهُ عبـدًا بمثـل أن يعينه على ما يحبُّه ويرضاه، ويزيـده ممَّا يقرِّبه إليه، ويرفع به درجته»[7].

وقـال أيضًا: «فلا يجـوز أن يظنَّ أنَّ كلَّ مـن كان له شيءٌ من هذه الأمور ـ أي الأمـور الخارقة للعـادة ـ أنَّه وليٌّ لله، بل يعتـبر أوليـاءُ الله بصفاتهـم وأفعالهم وأحوالهم الَّتي دلَّ عليها الكتاب والسُّنة، ويُعرَفون بنور الإيمان والقرآن، وبحقائق الإيمـان الباطنـة، وشرائـع الإسـلام الظاهرة»[8].

فليسـت الكرامـة أو الأمـر الخارق للعادة هي المقياس لكـون الشَّخص وليًّا لله، أو غير وليٍّ لله.

■ مذاهب الناس في الكرامة:

إنَّ موقـف النَّاس من هـذه الكرامة طرفان ووسط:

القسـم الأوَّل: الَّذيـن غلـوا في الكرامة، وهم المتصوِّفـة، ورفعوها فوق منزلتهـا، فادَّعوا ـ باسـم الكرامة ـ أنَّهم يعلمـون الغيـب، ويعلمون خائنـة الأعين وما تخفـي الصُّدور، وأنَّهم يُقعَدون فوق العرش مع الله تعـالى! وأنَّهم يمحُون ما يشـاؤون ويثبتون في اللَّـوح المحفوظ، كلُّ ذلك يعدُّونه في كراماتهم، وينسبون إلى أنفسهم أمـورًا كثيرةً هي من خصائص الله وحـده باسـم الكرامة،وبطـلان قولهـم هذا وفسـاده لا يخفـى على من نـوَّر اللهُ بصيرتَه، ومَنَّ عليه بالاستقامَة الصَّحيحة والعبـادة السَّليمة، والانقياد للحَقِّ بنور الكتَاب والسُّنَة.

القسـم الثَّاني: الَّذيـن جفَـوا في الكرَامَـة، وهـم المعتزلـة، وطائفـةٌ منَ الأشاعـرة وغيرهـم، فأنكـروا الكرامةَ كلِّيَّـةً، قالـوا: لأنَّ إثبـاتَ الكرامة للوليِّ يجعَل الأمـر ملتبسًا مـع الآية والمعجزة الَّتي تكون للنَّبيِّ.

وقـد ردَّ عليهـم أهـل العلم بـردودٍ عديدة، منها:

أنَّ الفـرق بين الأنبياء وغيرهم ليس منحصـرًا في الآيـة والمعجـزة فحسب، فهناك أمـورٌ كثيرةٌ تفرِّق بين النَّبيِّ وبين الوليِّ منها:

أنَّ الـوليَّ الصَّادق لا يدَّعـي النُّبوَّة، ولـو قـال: إنِّي نبـيٌّ! لخرج مـن الوَلاية، فيكون كافرًا.



(6) ذكـر نحـوه شيـخ الإسـلام رَحِمَهُ اللَّهُ عـن أبـي علي الجوزجاني في «الفتاوى» (320/11).

(7) «الفرقان» (ص 187).

(8) «الفرقان» (ص 79).

أنَّ مـن سنَّـة الله تعـالى أن يفضـح الكـذَّابَ، كما حصـل لمُسَيلمـة الكذَّاب وغـيره، فـإذا حصل لأحـد أمـرٌ خارقٌ للعـادة وادَّعى أنَّه نبـيٌّ فضحه الله على الملأ، ولهذا منذ ادَّعـى مسَيلمة الكذَّاب أنَّـه نبيٌّ مـن أنبيـاء الله إلى يومنا هذَا لا يـزال يوصَفُ بـ«الكـذَّاب»، فلا يذكُره أحدٌ إلاَّ ويقول: مسيلمة الكذَّاب، وأصبح الكذب علَمًا عليه.

يقول شيـخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كرامة الولي من جنس آية النَّبيِّ، إلاَّ أنَّ آيةَ النَّبيِّ آيتان؛ آيةٌ كبرى، وآيةٌ صغرى، والآيـات الكـبرى لا تكـون إلاَّ للأنبيَـاء؛ مثـل القـرآن وغـيره، أمَّا مثـلاً حصُول الطَّعام، أو حصول الشَّراب، أو ما أشبهَ ذلكَ؛ فإنَّ الله ﷻ قد يجريها للنَّبيِّ وقد يُجريها للوليِّ»[9].

وعلـى كلٍّ؛ فـإنَّ الأدلَّـة علـى ثبوت الكرامـة كثيرةٌ جدًّا، وهي ـ كما قال أهل العلم ـ متواترةٌ، وأجمعَ السَّلف على ذلك بل عُدَّت من أصول أهل السُّنةالتي تذكر في كتـب الاعتقـاد، يقول شيـخ الإسلام ابن تيميَّة في «العقيدة الواسطيَّة»: «ومن أصـول أهل السُّنـة: التَّصديق بكرامات الأوليـاء»، ثمَّ قال: «وهـي موجودةٌ فيها إلى يوم القيامة».

فالكرامـة باقية مـا بقيَـت الوَلاية، فـالله ﷻ يكـرم أوليـاءَه، ويمدُّهم بما يشاءُ،والقصصـ في هـذا كثيرةٌ ذكرها أهل العلم.

■ الفرق بين كرامات الأولياء والخوارق الشيطانية:

ذكـر أهل العلـم فروقًا كثـيرةً جدًّا بينهما، ومن ذلك:

ـ أنَّ كرامـات الأولياء سببها الإيمان والتَّقوى، أمَّا الأحوال الشَّيطانيَّة فسبَبُها الوقُـوع فيمَـا نهـى الله ﷻ ورسولُـه ﷺ؛ من ترك العبـادَة، والشِّرك بالله، والاستغاثة بغَيره، وفعل الفَواحش.

ـ أنَّ كرامـات الأوليـاء حـقٌّ وصـدقٌ لا تعارضـ فيهـا، وأمَّـا خـوارق هـؤلاء الشَّيطانيَّـة فإنَّها دجَلٌ وكـذِبٌ، يعارض بعضُهـا بعضًا، فهؤلاء يكـون في أحدهم مـن الكـذب والإثـم، مـا يناسِبُ حال الشَّياطين المقتَرنة بهم، ليفرِّق الله بذلكَ بين أوليائه المتَّقـين، وبينَ المتشبِّهين بهم مـن أوليـاء الشَّياطين، قـال الله تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ].

ـ أنَّ الكرامـة يجريها اللهُ لوليِّه عند احتياجـه إليهـا، إذا شـاء الله تعـالى، وليسـ في كلِّ وقـت، وليسـ عنـد رغبـة الـوليِّ، بينمَـا أوليـاء الشَّياطين تحدُث لهـم خوارقهـم في كلِّ وقـت، ومتـى مـا رغبُـوا، حتَّـى إنَّ أحدهم يجمـع النَّاسَ لها ليشاهدوها، فأصبحَت الكرامةُ بهذا نوعًا من اللَّعب.

والـوليُّ لا يتحـدَّث بكرامتـه، ولا يتباهى بها، ودعوة النَّاس إليها ليس من شعار الصَّالحين.

أمَّـا أولياء الشَّياطين فالأمر الخارق للعادة هو همُّهم، وديدنهم دائمًا.

ـ أنَّ خوارق أوليـاء الله خارقةٌ لعادة البشـر أجمعـين، وللسُّـنن الكونيَّـة الَّتي نراهـا؛ لأنَّ الله ﷻ هـو الَّـذي أجـرى السُّـنن الكونيَّـة، وهو القـادر وحده على خرقها، أمَّا خوارق أولياء الشَّياطين فهي خارقةٌ لعادات بعضـ البشر دون بعض، ويستطيع بعضُهم مـن السَّحرة والكهنة والمتعاملـين مـع الجـنِّ أن يأتـوا بأمـورٍ مماثلةٍ لها، أو أمورٍ أخرى مناقضةٍ لها.

فالواجب علـى المسلم تجاه كراماتِ الأوليـاء أن يكـون وسطًـا ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البَقَرَةِ: 143]، لا غلـوَّ ولا جفـاء، فيعتقـد في الكرامـة الاعتقاد الصَّحيح الثَّابت في كتاب الله، وسنَّة رسول الله ﷺ دون غلوٍّ أو جفاء.

■■■

وأسـأل الله أن يجعلنـي وإيَّاكم من أهل الهدى، ومن أهل التَّقوى والصَّلاح، وأهـل الوَلايـة، وأن يجنِّبنا مـا يسخطه ويأباه، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

(9) انظر: «النبوات» (2/803).



واحة الإصلاح

إعداد: أسرة التحرير

وصيَّة عالم

قال الإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

«ولهذا أوصي نفسي وإيَّاكم أن نسأَلَ اللهَ دائمًا الثَّباتَ على الإيمان وأن تخافوا؛ لأنَّ تحتَ أرجُلكم مزالق، فإذا لم يُثبِّتكم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وقعْتُم في الهلاك، واسمَعوا قولَ الله تَعَالَى لرسوله ﷺ أثبَت الخَلْق وأقواهُم إيمانًا: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ] أي: تميل ميلاً قليلاً، ولو فعلْتَ ذلكَ ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ].

فإذَا كانَ هذَا للرَّسُول ﷺ فَما بالُنا نحنُ؛ ضعفاء الإيمان واليقين، وتعتَرينا الشُّبُهات والشَّهواتُ؛ فنحنُ على خَطَرٍ عظيم؛ فعلينا أن نسألَ اللهَ تعَالى الثَّباتَ على الحقِّ، وألاَّ يُزيغَ قلوبَنا».

[«الشَّرح الممتع» (388/5)]

التَّقوى سببٌ لتحصيل العلم

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

«من أهمِّ الأسبَاب في تحصيل العلم: تقوى الله وخشيتَه في جميع الأحوال، كما قَال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سُورَةُ الطَّلَاقِ] ومعلومٌ أنَّ حصُولَ العلم من أفضَل الأرزَاق، وهُو خروجٌ من ضيق الجهل وظُلمَته إلى سَعَة العلم ونُوره، وقَال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [سُورَةُ الطَّلَاقِ] وحصُولُ العلم النَّافع من أعظَم التَّيسير والتَّسهيل؛ لأنَّ طالبَ العلم الشَّرعي يُدركُ بعلمه من وُجوه الخير وأسبَاب النَّجاة مَا لا يتَيسَّر للجَاهل».

[«مجموع فتاوى ابن باز» (350/1)]



فهم المتقدِّمين

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ:

«فمن أجل ذلكَ كانَ الواجبُ على كلِّ مَن يتصَدَّى لإصدَار الأحكَام على المسلمين ـ سواء كانوا حُكَّامًا أم محكومين ـ أن يكونَ على علم واسع بالكتَاب والسُّنَّة، وعلى ضَوء منهَج السَّلف الصَّالح؛ والكتَابُ والسُّنَّةُ لا يمكنُ فهمُهما ـ وكذلكَ ما تفرَّع عنهُما ـ إلاَّ بطَريق معرفَة اللُّغة العَربيَّة وآدابِها معرفةً دقيقةً؛ فإن كانَ لدَى طالب العلم نقصٌ في معرفَة اللُّغة العربيَّة؛ فإنَّ ممَّا يُساعدُه في استدراك ذلكَ النَّقص الرُّجوعُ إلى فَهم مَن قبلَه منَ الأئمَّة والعُلماء، وبخاصَّة أهلِ القُرون الثَّلاثة المشهود لهم بالخيريَّة».

[«فتنة التَّكفير» (ص 5)]





بريد القراء

■ وصلَتْنَا رسالةٌ من الأخ عَلُّوش فتحي من مدينة بلعبَّاس، كتب فيها موضوعًا يتعلَّقُ بأهمِّيَّة التَّوحيد في بناء جيل النَّصر المنشود، وقيام الدَّولة الإسلاميَّة، وهو موضوعٌ ذو أهمِّيَّة عظيمة في بابه.

كما أرسل أبياتًا في الثَّناء على مجلَّة الإصلاح والقائمين عليها؛ ومطلَعُها:

الإصلاح شمسٌ بين الكُتُب
وهي المنتقد والشِّهاب ترسُمُ الدَّرب
منارة العلم وتعليم والعلماء
وهي شمسٌ وكلُّ ما سواه كوكب

فجزاهُ اللهُ خيرَ الجزاء في الدُّنيا والآخرة.

۞ ۞ ۞

■ ونشكُر الأختَ الفاضلةَ وردة مَزعاش على غيرَتها على التَّوحيد الَّذي هو حقُّ الله على العبيد، وقد أرسلت إلينا رسالتَين؛ الأولى نبَّهت فيها على موضوع خطير، وهو ظاهرة سبِّ الله جلَّ جلالُه، ودينِه، وقد سبق أن نشرنا كتابةً تعالجه في العدد الأربعين؛ ولعلَّنا نُفردُه في جزءٍ خاصٍّ إن شاء الله.

والثَّانية تتعلَّق بموضوع الطَّريقة المُثلَى الَّتي تتعامَلُ بها المرأةُ المُسلِمَةُ مع أهل بيت زوجها الَّذين يَسبُّونَ الله ويتعاملون بالسِّحر والكهانَة.

وهو موضوعٌ جديرٌ بالاهتمام والتَّوضيح؛ فجزاها الله خيرًا وزادها حِرصًا وتوفيقًا.

۞ ۞ ۞

■ أمَّا الأخ حَملاوي إدريس من الأرهاط ولاية تيبازة؛ فله منَّا جزيلُ الشُّكر على اهتمامه بالسُّنَّة والتَّوحيد، وتنبيهه على ضرورة التَّحذير من البدع وأهلِها.

وأرسل إلينا قصيدةً باللُّغة العامِّيَّة لأحد الجَلفَوِيِّين يردُّ فيها على صوفيٍّ مُحتَرق غالٍ في شيخه؛ مطلَعُها:

يا وَيْحَ اللِّي مَا يْوَحَّدْ ۞ في جهَنَّمَ خَالَدْ
فارَقْ أُمَّة محمَّد ۞ رَاه من الضلال يَتْعَدّْ
أعمالُو محال تَنْفَعْ ۞ والنَّبي فيه ما يَشْفَعْ

۞ ۞ ۞

■ وجزى اللهُ خيرًا الأخَ الودودَ حميدات المقرِّي من مدينة المسيلة على حسن ظنِّه بإخوانه القائمين على المجلَّة ودعائه لهم وسرورِه بأعمالهم ومجهوداتِهم، وقد اقترح تخصيصَ ركن في المجلَّة يُعنَى بموضوعات أصحاب الدِّراسات العُليَا، ونظُنُّ أنَّ هذا الرُّكنَ له مظانُّه المعروفةُ من كتبٍ ومَجلَّات ودَوريَّات.

وفَّق اللهُ الجميعَ لما فيه رضَاه.

۞ ۞ ۞

■ ونتوجَّهُ بالشُّكر الجزيلِ إلى الأخ الفاضل والأستاذ الإمام مجاذى جمال الدِّين على حسنِ ظنِّه بإخوانه ومشايخِه القائمين على مجلَّة الإصلاح، وعلى رسالته القيِّمَة وقولِه السَّديد ورأيِه الرَّشيد، المُتعلِّق بتنظيم الفتوى والإجابة على الأسئلة، وقد بيَّن فوائدَ ذلك ومصالِحَه بأسلوبٍ رصينٍ ولغة جميلة.

فله فائقُ الشُّكر والتَّقدير، ونسأل الله تعالى أن يزيدنا وإيَّاه توفيقًا وسدادًا، ونسألُه أن يُحقِّقَ لنا ما أمَّلَه ورجاه.

۞ ۞ ۞

■ أرسل إلينا الأخ عبد الكريم عزِّي من باب الزُّوَّار ـ ولاية الجزائر، موضوعًا يتضمَّن ترجمةً مختصرةً لشيخنا العلاَّمة المجاهد الصَّابر ربيع بن هادي المدخلي، وذكر مشايخه ومصنَّفاته وبعض أعماله، وهي محاولة موفَّقةٌ. زاده الله علمًا وتوفيقًا وتحقيقًا.